# مُرَاوِد

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العدد 24، أكتوبر 2020، السنة الرابعة

ملف الشهر

## القهوة...
## تراث إنساني مشترك

## سلطان القاسمي
## يفتتح المنطقة التراثية بخورفكان

## اختتام الدورة العشرين
## من «الراوي»

## اليوم الثقافي المصري يبرز
## جماليات التراث المصري

## تعزيز التواصل الثقافي والتعاون
## المشترك بين الإمارات والهند

العدد 24، أكتوبر 2020، السنة الرابعة
MARAWED Issue, 24 (OCT 2020), The Fourth Year

# MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

Issue, 24 (OCT 2020) The Fourth Year

UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute for Heritage

# سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

**ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:**

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae


**للتواصل مع إدارة التحرير:**

**0097165014898 - 00971567927270**

**m.bounama@sih.gov.ae**


مراود

## صدر حديثاً

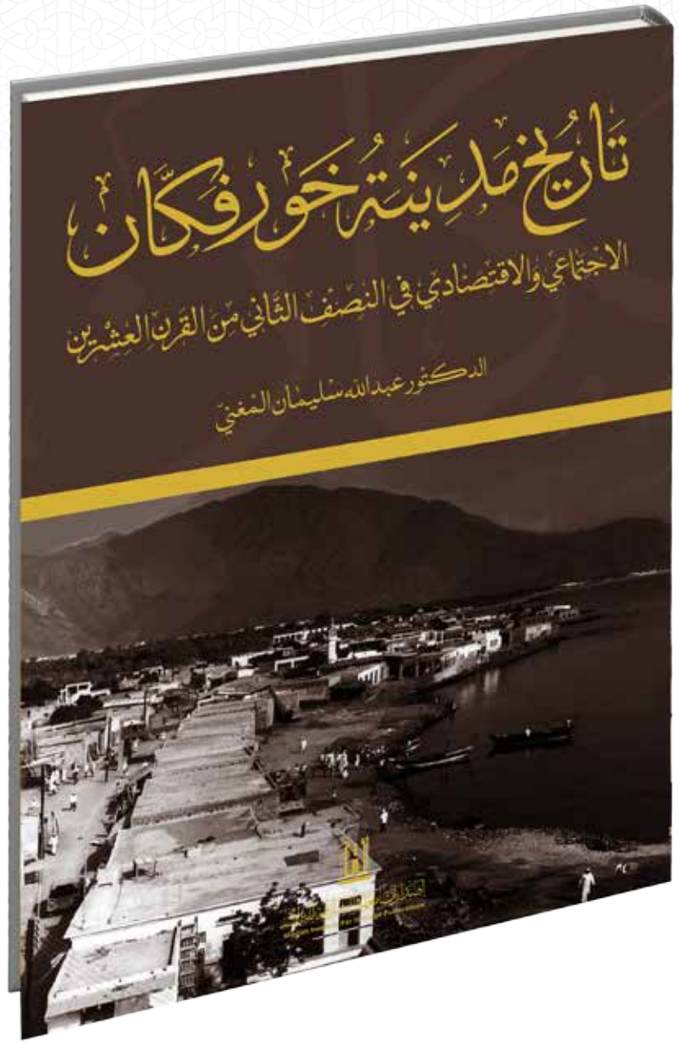






# القهوة.. تراث إنسانيّ مشترك

**د. عبدالعزيز المسلّم**
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

ازدانت مجلة مراود، في عددها الجديد، بافتتاح صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، المنطقة التراثية في خورفكان؛ تتويجاً لسنوات طوال من عمليات الصون والحفاظ والترميم الذي طال مختلف مرافق المنطقة، وستشكّل المنطقة رافداً مهمّاً، يجمع بين الفائدة والتسلية، والثقافة والتراث والسياحة والترفيه للسكان والسيّاح على حدّ سواء؛ لما تضمّه بين جنباتها من تنوّع مرافقها، وهي: المتاحف الشخصية: (بدر صالح، محمد صالح النقبي، فاطمة المغني، عبدالله الكابوري، راشد خلفان عبدالله النقبي، خلفان محمد علي النقبي)، وبيوت الحرف، وتضمّ حرف: (التلي، صباغة الملابس، السفافة، الزفانة، الدعون، صناعة البراقع...)، ومجلس التراث، ومجلس الدامة، وبيت الألعاب الشعبية، وبيت أدب الرحلات، ورواق المكتبة، وبيت الشباب، ونزل الرياحين، ومركز الشعر الشعبي، وبيت الشعر، بالإضافة إلى القناة المائية، ومتحف الحرف التقليدية في السوق القديم (سوق شرق)، وما يضمّه من حرف تراثية غنية تقدّم صورة عن الماضي العريق.

واتساقاً مع رؤية المعهد، التي درج عليها في الاحتفال بالمناسبات التراثية الدولية، وبما أن الأول من هذا الشهر يوافق اليوم العالمي للقهوة، الذي اعتمدته «اليونسكو» عام 2015، فقد أفردنا هذا العدد للحديث عن القهوة كتراث إنساني مشترك يجمع العالم، وتتبّعنا فيه بداية ظهور القهوة، ومسار انتشارها، ومواطن تركّزها حول العالم، وعرّجنا على تاريخ القهوة والمقاهي، وأدبيات القهوة في التراث الإماراتي، وقهوة الكيف، وآداب صبّ القهوة، وحضور القهوة في الشعر النبطي.

واستعرضت الأبواب الثابتة في المجلة موضوعات تراثية، ومتفرقات، مزجت بين الشعر والفنون الشعبية، واحتفت بأشعار الشاعر سعيد المطيوعي، وتطرّقت للتحولات التي عرفتها أسواق الشارقة القديمة، وفن الرزفة، ومنجم «المغر» في أبوموسى، وتجلّيات المطر في التراث العربي، ودار القبيلة لدى عرب الصباح، والخرافة، وروافد بناء الحضارة، ومحال الأنتيكا وغيرها من الموضوعات المهمة التي تبرز جوانب مختلفة من تراثنا العربي الغني والزاخر بالقيم والمثل والعناصر والرموز.

هكذا حوى هذا العدد مادة دسمة وغنية للقارئ العربي؛ ستسهم في إثراء معارفه التراثية والثقافية، وتطوير مخزونه الثقافي، من خلال المقاربات القيّمة التي كتبها نخبة من الكتّاب الإماراتيين والعرب.

# محتويات العدد

سلطان القاسمي
يفتتح المنطقة التراثية بخورفكان
10

ملف العـدد
القهوة
تراث إنساني مشترك
18

متابعات
82

رجل النور
106

الافتتاحية
5

أعلام وأبيات
عتيج القبيسي
70

حكاية
علي أحمد المغني
78

المطر
92

أشياء من الماضي
علي العبدان
72

فنون شعبية
علي العشر
76

الباحث أحمد توفيق
96

دار القبيلة لدى عرب الصباح
100

قلعة دبا الحصن
104

الأمريكي
الذي بات شيخاً
108

تلويذة البخور
111

الخرافة
وروافد بناء الحضارة
112

صيد الحبارى
تراث عربي وإماراتي أصيل
116

فتاة الشَّجرة
120

محالّ «الأنتيكا»
124

التراث الشعبي اليمني
بين الماضي والحاضر
132

جَامِعُ القَرَوِيِّين
بفاس
138

الألعاب والدمى الشعبية اليابانية
(الجزء الثاني)
144

شرفة
152

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
**د. عبد العزيز المسلم**
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
**د. ماجد بوشليبي**
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
**د. منّي بونعامة**
مدير إدارة المحتوى والنشر

سكرتير التحرير
**أحمد الشناوي**

أسرة التحرير
**أ. علي العبدان**
**أ. عتيج القبيسي**
**أ. عائشة الشامسي**

التصميم والإخراج الفني
**منير حمود**

التدقيق اللغوي
**بسام الفحل**

التصوير
**قسم الإعلام**

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

# سلطان القاسمي
## يفتتح المنطقة التراثية بخورفكان

افتتح صاحب السمو الشيخ الدكتور
**سلطان بن محمد القاسمي**
عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة المنطقة التراثية بمدينة خورفكان،ويمثل مشروع المنطقة التراثية بخورفكان إحدى أهم المشروعات التي تسعى الشارقة من خلالها للمحافظة على المباني التراثية الموجودة بالمنطقة، وإحيائها والترويج لها، وتحويلها إلى مزار سياحي، ووجهة ثقافية تستقطب السيّاح والزوّار من شتى الأماكن والثقافات، لتأخذهم في جولة ماتعة في رحاب التاريخ العريق والتراث العميق.

وتفقد صاحب السمو حاكم الشارقة لدى وصوله إلى المنطقة التراثية قناة الوادي المائية حيث شاهد عروض سباق الشوش التي أقيمت بمناسبة الافتتاح، وتشكل القناة التي يصل طولها إلى 700 م وعرضها 5 م إحدى أبرز المرافق السياحية المميزة بأنشطتها الترفيهية حيث توفر للزوار فرصة ركوب العربات المائية والتجول في أرجائها. وتتصل قناة الوادي ببحر شاطئ خورفكان، وجرى تعميقها لضمان استمرارية وجود المياه بها طوال الوقت بحسب حالات المد والجزر، وستستخدم القناة كمصب لمياه الوادي وقت الأمطار .وتوجه بعدها صاحب السمو حاكم الشارقة لتفقد نزل الرياحين الذي يمثل مجموعة بيوت قديمة في المنطقة التراثية حيث سيتم إعادة ترميمها مع المحافظة على معالمها الأثرية والتقسيمات الأصلية للبيت منها.

واستمع سموه إلى شرح حول المراحل القادمة لتنفيذ النزل والتصاميم المقترحة وأبرز الخدمات التي ستوفرها للنزلاء، ويتضمن النزل بيوتا للإقامة تعكس الطابع التراثي القديم، حيث

يتكـون كل بيت من تقسـيمات ومسـاحات متفاوتة تلبـي رغبـات النـزلاء وتتكـون البيـوت مـن غرف للنـوم وغرفة معيشـة والليوان وجلسـات خارجية، كمـا يحتـوي النزل على حديقـة خارجية زرعت بها أشـجار النخيل والحناء والريحان.كما تم اسـتغلال أكبـر بيـت في المنطقـة ليتضمـن منطقة اسـتقبال النـزل ومطعما وبعـض الخدمات الخاصـة بالنزل ومكاتـب الإدارة، بالإضافـة إلـى توفيـر مجموعـة مـن المحال الشـعبية التـي تلائـم الطابـع التراثي الخـاص بالنزل.

ثـم عـرج صاحـب السـمو حاكـم الشـارقة لتفقـد بيـت الشـباب الـذي يمثّـل أحـد البيـوت القديمـة بالمنطقـة التراثيـة، ويعـود تاريخـه إلى خمسـينيات

القـرن الماضي، حيـث كان البيت يضم غرفاً سـكنية ومخزنـا وغرفـة لاسـتقبال الضيـوف، ويتألف بيت الشباب من خمسـة غرف موزّعة حسب الاستخدام، بالإضافـة إلـى حديقـة وغرفة للاسـتقبال.

وتجـول بعدهـا سـموه في أرجـاء سـوق خورفـكان القـديم "سـوق شـرق" الذي جـرى ترميمـه ورفده بالعديـد من المحـال والأنشـطة التجاريـة المتنوعة ليصبـح وجهـة سـياحية وترفيهيـة لكافـة الـزوار والقاطنـين بمدينـة خورفـكان، واسـتمع سـموه إلـى شـرح حـول المراحل التـي أنجزت من السـوق ونسـب الحركـة التشـغيلية والإقبـال مـن الـزوار على كافة أرجاء السـوق.واطلع سـموه على السـوق

المسقوف الذي تم تنفيذ عملية التسقيف فيه لمساحة 500 متر مربع من ممرات المشاة بالسوق باستخدام خشب الكندل والدعون والحصير، كما تم تحسين الواجهات وتكسيتها بالصاروج والديكورات الجصية، إضافة إلى تركيب مراوح في كافة الممرات، وتنفيذ جزء مكيف بعد إضافة الزجاج في الواجهات.وتفقد صاحب السمو حاكم الشارقة متحف السوق القديم "متحف الحرف" الذي يشكل مساحة ثقافية وتراثية تضم العديد من الأقسام التي خصصت لعرض وشرح الفنون

والحرف اليدوية القديمة.وتم تخصيص 25 محلا في السكة الموازية لمحور السوق الرئيسي، لعرض الحرف التقليدية المندثرة، وتعكس الحرف مختلف البيئات البحرية والجبلية وكافة حرف السكان قديماً ومنها الطب الشعبي والحلاقة والخياطة

واستخراج اللؤلؤ وتعليم القرآن واستخراج الدبس والحرف البحرية وغيرها.

وسيوفر المتحف للزوار تجربة واقعية للحرف التقليدية وسيضم العديد من الورش والفعاليات التي ستعيد إحياء وتعليم هذه الحرف التراثية الهامة.

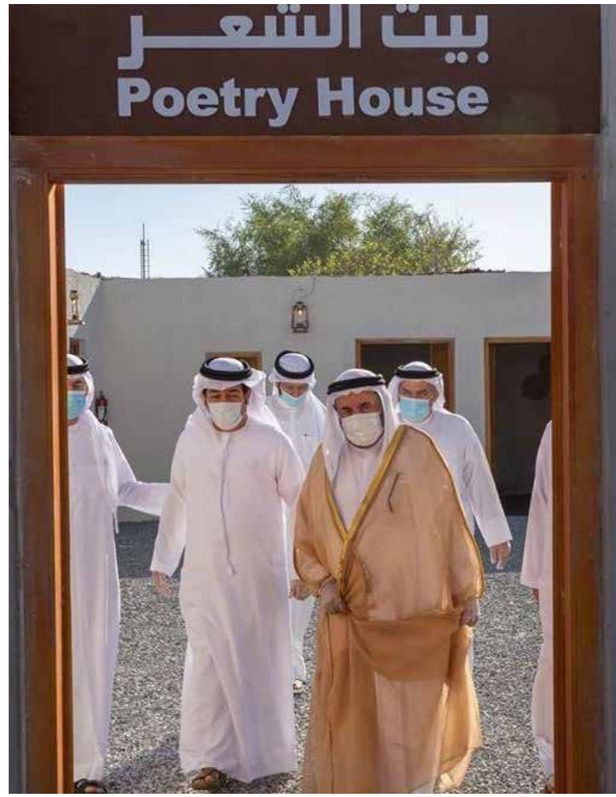


واطلع سموه خلال جولته على خطط تطوير عدد من المشروعات المستقبلية بمدينة خورفكان ومنها مشروع فندق شرق - خورفكان الذي يتم العمل عليه على مرحلتين الأولى على مساحة 1600 م2 والثانية على مساحة 3800 م2 وسيوفر للنزلاء كافة الخدمات الفندقية.

كما اطلع سموه على مخططات مشروع ترميم حصن المنصور الأثري الذي يعد أحد الحصون الأثرية الهامة بمدينة خورفكان وسيشمل الترميم مدخل الحصن والبرج والغرف والفناء الداخلي وكافة أرجاء الحصن.

كما افتتح سموه بيت الشعر ومركز الشعر الشعبي في المنطقة التراثية، ورافق صاحب السمو حاكم الشارقة خلال جولته سعادة الدكتور عبدالعزيز عبدالرحمن المسلم رئيس معهد الشارقة للتراث، وسعادة المهندس صلاح بن بطي المهيري مستشار دائرة التخطيط والمساحة وسعادة محمد عبيد الزعابي رئيس دائرة التشريفات والضيافة.

ملف العـدد

# القهـوة

## تراث إنساني مشترك

## قهوتي

مـن يـواسـيـني سـواهـا
عقب مـا كمّلت صومـي
رشـفةٍ زايـد حـلاهـا
ارتشـفهـا كـل يـومـي
قـهـوتـي فـي ملتقـاهـا
أنسـى آلامـي وهمـومـي
شـاعـرٍ سـالـى بُهـواهـا
مِسْرع ورقمـه حـكـومـي

د. عبدالعزيز المسلّم

ملف العـدد مَـرَاوِدْ

# تـــاريـــخ القهـوة

ظهر البن في عدن حوالي عام 1500م

افتتحت المقاهي في باريس لتقديم القهوة
عام 1669م

انتقلت من اليمن إلى مكة في القرن الـ15 على
يد جمال الدين بن عبدالله الذبحاني اليمني

ظهرت المقاهي في أمريكا الشمالية في
بوسطن عام 1670م، ونيويورك عام 1737م.

عرفت اسطنبول القهوة والمقاهي
عام 1554م

يحتفل العالم باليوم العالمي للقهوة،
في الأول من أكتوبر من كل عام

انتقلت إلى مدينة البندقية بإيطالية عام 1633م

تم إدراج القهوة على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي
غير المادي للبشرية في «اليونسكو» ديسمبر عام 2015م



العدد 24 أكتوبر 2020
21

# قهوة الكيف

القهوة في الخليج تعني شراب القهوة، والجمع قهوة، والقهوة تعني المقهى، والجمع «قهاوي»، وينعتها بعضهم مقهاه، والجمع «مقاهي»، وللقهوة حضور في الوجدان الشعبي، وقد جاء ذكرها في أمثالهم وأشعارهم.

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث

من أسماء البنات في الإمارات «بَنّه»، بفتح أوله ومعناها الريح الطيبة، واسم حبة البن «بنّة» بكسر أوله مع التخفيف (عامية)، كما أن القهوة هي أساس كرم الضيافة، وهم يطلقون على مجمل الضيافة الخفيفة «قهوة»، فإذا دعي الضيف للقهوة، فإنما هي دعوة لتناول ضيافة أخرى مصاحبة لها، كالفاكهة وبعض الحلوى، وقد ظل هذا المصطلح سائداً في الخليج، وفي الإمارات يقولون قهوة وفوالة، و«الفوالة» أو «الفالة» تعني الفأل الحسن والاستبشار بالضيف.

والقهوة كما يقال كيف، وكيف القهوة ومزاج طيبها ومنكهاتها يسمى قناد، ومن أهم ما تقنّد به القهوة الزعفران والقرنفل المسمى «المسمار»، والهال المسمى «الهيل».

كانت البيوت والمجالس لا تخلو من موقد القهوة المسمى «كوار»، أما آنية القهوة أو إبريقها فيسمى «دلة»، وجمعها «دلال»، ومن التقاليد الإماراتية أن يكون للقهوة ثلاث «دلال» مختلفة؛ كبيرة ومتوسطة وصغيرة، الكبرى تسمى «خمرة»، والوسطى «تلجيمة»، وأصل الجيم قاف، وهي

تلقيمة، والصغرى «مزلّة» ومن أشهر الدلال التي تصنع في الإمارات الدلّة القريشية، كان لها عرف يسمى«شناف»، وأقراط تسمى «كواشي»، وقد كانت غالية الثمن، وسبباً للتباهي بين الناس، كما استخدمت في الإمارات الدلة الحساوية ودلة رسلان.

وعند الشيوخ وكبار التجار يوجد شخص مهمته الأساسية صب القهوة، يسمى «المقهوي»، أما عند بقية الناس فمن يصب القهوة هو أحد أبناء صاحب البيت، ويقدم الفنجان الأول لأهم شخص في المجلس، أو لأكبرهم، ويبدأ من الجهة اليمنى، ويمسك المقهوي «الدلة» بيده اليسرى، ويقدم الفناجين بيده اليمنى.

بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، ساد المنطقة قحط، وعانى الناس شظف العيش، وعزَّ الطعام، وغلى ثمنه، ومن ذلك ثمن القهوة، وفي ذلك قال الشاعر:

**يالقهوةْ بتنادم ويـاج ... لو يستوي منج بعشرين محلاج يوم الريم تقلاج ... محلى صبابج في الفنايين**

هنا يقول الشاعر إنه سينادم القهوة حتى ولو أصبح سعر المنّ منها عشرين «روبية» والمن يوازي أربعة كيلوغرامات.

أما أجمل ما قيل في القهوة ومكانتها وعظم قدرها عند أهل الخليج فهو ما قاله الشاعر الفارس راكان بن حثلين:

**الله على الفنجان مع سيحة البال**

**في مجلسٍ ما فيه نفسٍ ثقيلةْ**

**هـذا ولـد عم وهـذا ولـد خـال**

**وهـذا رفيـقٍ مـا نـدوّر بـديلـة**

أما الشاعر راشد الذيب فيمتدح القهوة بقوله إنه يفضل القهوة ويفتخر بشرب فنجانها، لكنه لا يحب شرب الشاي الذي يقدّم في «البيالة» فيقول:

**أشرب الفنجان وآكبّ البيالة**

**طيبٍ وآحب سلم الطيبين**

أما الشاعر السعودي عطا الله بن خزيم فيقول:

**قم سو ما يطرب له الكيف ياضيف**

**فنجـال بـنِ كالـف الكيف وافي**

**واحمس ونسّفها على الجمر تنسيف**

**لما تبش اْمن العرق يا لسنافي**

**و إلى اجتمع عندك رجال عراريف**

**معهم موازين الحكي والكفافي**

**صبها وذكرنا بزين السواليف**

**وأهلا هلا ياذا وياذا عوافي**

# الشعر في ضيافة القهوة

للقهوة مع الشعراء قصص كثيرة، بقيت القصص والأبيات، وغاب شعراؤها، وهذا دلالة على حضور القهوة في حفظ ما قيل فيها، وقدرتها على نقل التراث الشعري جيلاً إثر جيل، لنأخذ جولتنا اليوم في ربوع بعض هذه القصائد ومناسباتها.

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد ـ الإمارات

القهوة كثيراً ما كانت سبباً في تجاذب أطراف الأحاديث بين الأقارب والأصدقاء، وحتى الغرباء، حيث جلسة القهوة جلسة استقبال أو راحة أو ختام، وفيها تجري الأحاديث حول الموضوعات المهمة، أو حتى دون أي موضوع انعقدت الجلسة لأجله، وعلى ذلك فإن جلسة القهوة كما هي فرصة ذهبية للوصل والتواصل بين الأطراف، هي أيضاً فرصة للفصل في الموضوعات الشائكة بسلاسة وأريحية، فحضور القهوة عامل مهم من عوامل ما يوجب على الجميع الالتزام بآداب المجلس وتقاليده، وفي هذا السياق سنتناول بعض هذه القصص من الموروث الشعبي:

يحكى أن رجلاً من البادية تزوّج من امرأة من مكان بعيد، وأخذها إلى قريته، كان الرجل يشكو عجزاً في معاشرتها، لكنه ظل معها؛ لأنه كان يظن أنها لا تعرف شيئاً عن المعاشرة الزوجية لصغر سنّها، وبعد مرور ثماني سنوات من زواجها، سافر أخوها، وهو أحد الشعراء لزيارة أخته، وللاطمئنان عليها،





ففوجئ بعدم إنجابها، وبعد أن قضى يومه الأول في ضيافة زوجها، تحينت الزوجة الفرصة لتشكو إلى أخيها، ولم تجد أفضل من جلسة القهوة، فسألته أمام زوجها، وهي قاربت على الانتهاء من إعداد القهوة، أنها بدأت تقرض الشعر، وقد كتبت أبياتاً قبل قليل، وأنها تريد منه أن يستمع إلى أبيات بسيطة من قصيدتها، لعلها تستفيد من نصائحه، إن وجد فيها خللاً، وبعد أن أذن لها أخوها وزوجها، قالت:

**وش قلت في رجلٍ شَرى له معَاميَل**
**وقد له ثَمَان سِنِيْن مَا دَق فيها**
**إمّا يسوّيها شراة الرجاجيل**
**وإلّا يخليها لمن يعتنيها**
**مَا تصلح الْدَلة فبيض الْفَناجِيل**
**إلَا لِمَن هُو يحرق الْبُن فيها**

هنا فهم زوجها مقصدها، وقال لها بيّض الله وجهك على صبرك معي، وأنت مرخوصة، ويمكنك الرجوع مع أخيك مطلقة. كونه فهم المعنى الحقيقي وراء هذه الأبيات، فهذه الأبيات الثلاثة على الرغم من أنها لم تتناول عجز الرجل إلا أن الواقع (إعداد القهوة) تقاطع مع واقع آخر، وهو (عجر الرجل عن معاشرة زوجته)، من خلال الصورة الشعرية المبتكرة التي رسمتها الزوجة، حيث أصبحت هي فناجين القهوة؛ أي الوعاء، والزوج هو القهوة؛ أي مصدر الإنجاب، وكان من الصعب على الزوجة البقاء معه دون أن ترزق بذرية، وبما أن هذه الموضوعات صعب التحدث بها بصورة مباشرة بين الرجال

والنساء، وتحتاج إلى الترميز لرفع الحرج، نجد أن الزوجة اختارت أنسب الأوقات، وهي جلسة القهوة، وأيضاً ارتجلت بقصيدة في الأجواء نفسها، واستطاعت التأثير في مستمعيها، وجلب انتباههم إلى ما تعانيه من أسى وحرمان.

وجاء في قصة أخرى، أن شاعراً كبيراً كان مسافراً، وفي إحدى محطات سفره، وصل في ساعة متأخرة من الليل، واستراح عند شخص أكرمه جداً، من حيث حسن الاستقبال، ولكن حينما قدّم إليه القهوة، فوجئ بأن قنادها من الزنجبيل، وليس من الهيل؛ أي أنه أبهر (طيّب القهوة بذلك)؛ لعدم استطاعته إحضار حبات الهيل، بعد أن نفدت من عنده، وذلك لسكنه في مكان بعيد ومقطوع، ولكن الضيف لم يرق له ذلك، فالقهوة رمزٌ للكرم، وحسن الضيافة والتقدير، فقال الضيف الشاعر، محاولاً إحراج المستضيف:

**القهوة اللي ما تبهر من الهيل**

**مثل الهزيل اللي قليلٍ دسمها**

**ريحة زفرها في بطون الفناجيل**

**مثل العجوز اللي خبيثٍ نسمها**

هنا تضايق المستضيف من فعل الضيف، فكان الأولى أن يجد عذراً لمستضيفه، لما لقيه من حسن الحفاوة، ولكونه ضيفاً يوجب عليه ذلك تقدير كل ما يقدم إليه مهما كان قليلاً، أو دون مستوى المتوقع، بدلاً من إنشاد هذه الأبيات التي تنتقد طعم القهوة؛ لذا رأى المستضيف، أنه يوجب عليه الدفاع عن القهوة التي أهانها

الشاعر، فأجاب الشاعر بأبيات قال فيها:

**حنا نخط الهيل ونفطّح الحيل**

**وأحيان نثكل موجبه من عدمها**

**وعجوزك اللي ضوت فأطراف ليل**

**وش قربك يا ضيف من ريح فمها**

هنا نجد أن المستضيف ضايقه جداً وصف قهوته برائحة خبيثة، وصورة عجوز؛ لذلك عاب على الضيف اقترابه من هذه العجوز، ليشتم رائحة خبيثة، وهو بذلك يكمل الصورة الشعرية، مبرراً ما جرى بسبب حضور الضيف متأخراً، كأنه يشير إلى أن الوقت المناسب يهيئ الأجواء المناسبة.

وعلى الرغم من قوة وجزالة الرد، إلا أن بيتاً مبتكراً، يقول «القهوة اللي ما تقنّد من الهيل.. مثل العجوز اللي خبيثٍ نسمها»؛ أصبح مضرباً للمثل، وهو دلالة على أهمية تطييب القهوة، وإشارة إلى أن أثر الفكر الجمعي أو الشعبي في رسم الآداب الاجتماعية المختلفة كبير جداً.

وفي قصة أخرى يحكى أن شاعراً من عشيرة هجا أحد شيوخ عشيرة أخرى، وحين وصلت القصيدة إلى مسامع شيخ العشيرة، أقسم أن يقطع رأس الشاعر على هذه القصيدة، وبعد مدة وفد إليه جمع من العشيرة الأخرى، وكان الشاعر حاضراً ضمن هذا الجمع، وسرعان ما أُبلغ شيخ العشيرة بذلك؛ لأنه لم يكن يعرفه، هنا أراد شيخ العشيرة أن ينتقم من ضيفه، حسبما أقسم سابقاً، ولكن كيف وهو ضيفه اليوم، وفي مأمن من أي خيانة، لذلك احتال شيخ العشيرة بحيل عدة ليوقع الشاعر في خطأ ما، كي يفتح أمامه مجالاً لإيقاعه في فخ العقوبة، فنادى المغنّم أو المقهوي (أي من يصب القهوة)، وأمره أن يتوقف عند الشاعر، ويرجع ليسقيه من دلة أخرى، ولكن الشاعر تناول الفنجان، وشمّ القهوة، وسكبها على الأرض، هنا ثار شيخ العشيرة لإهانة قهوته، فقال الشاعر إنه لم يقصد الإهانة، وإنما سكبه لوجود صرصورٍ فيها، فأمر الشيخ بتصفية الدلة وقتل الشاعر إن كذب في ذلك. وبعد التأكد من وجود الصرصور، وصل المقهوي بدلة جديدة ليسقي الشاعر، وامتنع الشاعر مرة أخرى عن الشرب قائلاً «فيها غراق وحراق وشراق»؛ أي حبات القهوة لم تحمّص جيداً، ففيها غير المستوي والمحروق والنيئ، فأمر الشيخ بالقهوة لثالث مرة، وامتنع الشاعر عن الشرب بعد أن شم القهوة قائلاً: «فيها شعر أباط، وشعر مخاط، وشعر ضراط»، هنا نادى الشيخ بالقهوة لرابع مرة، وهي قهوة معتادة، وفيها ثماني حبات شعير، فشرب الشاعر فنجاناً واحداً فقط، قائلاً «يكفي من كيف الشعير فنجان».

فأحس الشيخ أن شرب فنجان واحد بعد كل ما جرى منقصة في حقه، فطلب القهوة للمرة الخامسة؛ ليضمن شربها،

ولكن المقهوي لم يجد قهوة كافية لإعدادها، فجاءت كثيرة الماء، وشرب منها فنجاناً بعد فنجان، حتى وصل 15 فنجاناً، فخاف المقهوي من عدم مقدرته على إعداد دلة أخرى، فنادى شيخ العشيرة قائلاً:

**خمسة عشر فنجان للهرف صبيت**

**لو إني أعبّي بقربة كن ملاها**

فقاطعه الشاعر قائلاً:

**لا تحسب إني من دلالك تقهويت**

**ما تطرب الكيّاف من كثر ماها**[1]

هنا لم يستطع شيخ العشيرة تمالك نفسه لينهي موضوع القهوة التي وقفت حائلة بين حقيقة ما يضمره وما يفعله المقهوي، فقال للشاعر إن أمامك لغز إن حليته ألبستك بشتي (ردائي)، وإلا قتلتك للقسم الذي أقسمته على قصيدتك الهجائية، والسؤال هو:

**أفتيك بهف ومشيه دف وان مسكته ما يلتف**

**وافتيك بشي ما غيره شي**

**وافتيك في البردان يحب الفي**

**وافتيك بشي بعد ما يموت يغدا حي**

**وافتيك بميّت يحاكي حي**

فأجاب الشاعر فوراً أنها ألغاز الأطفال، وأجوبتها هي: الأولى: السراب، والثانية: الله جلّ جلاله، والثالثة: الثلج، والرابعة: الهلال، والخامسة: الرسالة.

فأنقذ الشاعر رقبته من الهلاك، وصار الخيار بيد الشاعر؛ كي يسأل الشيخ لغزاً؛ كونه حل لغزه قبل قليل، فاستثمر هذه الفرصة كي لا يطالب الشيخ بدمه مستقبلا، وقال:

**أفتيك ببكارٍ ثلاث ضمّر**

**لْ خبطهن فحلهن قوطرن لقح**

**لاقبلت حيرانهن قامت تعطف**

فعجز الشيخ عن حل اللغز، واضطر الشاعر إلى تفسيره، وقال: إن حل اللغز هو القهوة، فالأبكار الثلاث هي الدلال الثلاث لإعداد القهوة وصبها، والحيران هي الفناجين، حيث إن صب القهوة في الفناجين يشبه عطف الناقة على أولادها.

هنا نظر الكل إلى الشاعر بإعجاب، لذكائه وخبرته في القهوة، فسألوه أن يختم المجلس بما يقوله في القهوة، فنظر نظرة في الأفق، وأخذ جمرة، ووضعها على غليونه، وأنشد متأوّهاً:

**أوّاه قلت أوّاه ع التتن أوّاه**

**لولا التتن يا ناس وين انا اروح**

**لاعب بي الغليون من الكيس واملاه**

**واكويه بالجمرة ويكوي جروحي**

**عا دلّة صفرا على النار مركاه**

**واحمّس الطبخة على كيف روحي**

**لا صبها الصبّاب دم الخلنداه**

**خضاب الهنوف ال عند أهلها طموح**

**عدّي وصبه للي تدفق السمن يمناه**

**طول الزمن ماردة ما يضوح**

**ثني وصبه للي تكره الخيل ملقاه**

**يرخص بعمره عند راعي اللدوح**

**ثلث وصبه للي يزعج النزل طرياه**

**يضوي اليا صكت عليه النبوح**

**وباقي الرجال فحول نسوان ورعاه**

**حراس مال وتبعون السروح**

أي أن القهوة يجب أن تصب للكريم أولاً، وللفارس ثانياً، وثالثاً لعامة الناس العاملين نهاراً لجمع قوت يومهم، وأخيراً لبقية الرعية. وبهذه القصيدة اختتم الاجتماع، وأعاد الشاعر للقهوة هيبتها، بعد أن أهينت في المجلس أكثر من مرة، بسبب إرادة شيخ العشيرة الذي استخدمها في غير موقعها وشأنها.

1- ورد البيتان في بداية محاورة بين ناصر بن إبراهيم العبدالكريم وحنيف بن سعيدان المطيري أيضاً، وينسب إليهما الأبيات أيضاً.

# تراثيات القهـوة

فهد علي المعمري
باحث – الإمارات

تعـدّ القهـوة العربيـة رمـزاً لـكل عربـي، وفـي دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة لهـا خصوصيتهـا ورمزيتهـا، فهـي تـدل علـى الكـرم، وعلـى الضيافـة، وعلـى التمسـك بالعـادات والتقاليـد، وعلـى السَّـنَع، وعلـى احتـرام الضيـف، وعلـى تعديـل مـزاج شاربها، كما أنها ركنٌ من أركان المنزل لا يُسْتَغنَى عنه، فكل هـذه المعطيات تؤكـد أهمية وجـود القهـوة فـي مجلـس كل شـخص، وفـي منـزل كل أسـرة، كمـا تؤكـد علـى تراثهـا العريـق والتليـد فـي تـراث دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة.

كمـا أنها تعد رمزاً للهوية الوطنيـة في دولة الإمارات، ولهـا تقاليدهـا وطقوسـها وآدابهـا الخاصـة بهـا؛ لـذا فهي تشـكّل تراثـا أدبيـاً واجتماعيـاً وأخلاقياً، وبقيـت تراثيـات القهـوة تتناقل كابراً عـن كابر، حتى أصبحـت اليوم جـزءاً من العـادات والتقاليد والآداب التـي يحتفـظ بهـا أبنـاء المنطقة، مـن خـلال قليها وصبّهـا وتقديمهـا للضيـف، وأيضـاً المعاميـل التـي يتـم من خلالها قلـي القهوة، والدلال المسـتخدمة في قلـي القهوة وصبهـا وتقديمها، وأنـواع القهوة المتعلقة بحـدثٍ مـا، مثل قهوة المسـيّر وقهوة الطـروش وقهوة المـدوّر، فمـا العـادات والتقاليد المتبعـة في كل واحدة من هـذه الأحداث؟

**صفات المقهوي وخصاله:**

1. أن يتصف بالرجولة المبكرة.
2. أن يكون متوقد الذهن، حاضر البداهة، سريع الجواب.
3. أن يكـون مرتديـاً الـزيّ الوطنـي، مثـل الكنـدورة والسـفرة والخـزام، ومتحزمـاً الخنيـر.
4. أن يمتـاز بمهـاراة صـبّ القهوة، وهـي آداب كثيرة (سـنذكرها لاحقاً).

**أنواع فناجين القهوة**

1. فنجـان الهيف، وهو الفنجان الذي يشـربه صاحب المنـزل أو المقهـوي أولاً، قبـل صبـه وتقديمـه للضيـوف، بهـدف الطمأنينة بأن القهـوة لا يوجد فيهـا شـيء يهدّد سـلامتهم.
2. فنجـان الضيـف، وهـو الفنجـان الـذي يشـربه الضيـف مـرة واحـدة، ثـم يهـزّه علامة منـه بأنه اكتفـى بفنجـان واحـد.
3. فنجـان الكيف، وهو الفنجان الذي يشـربه الضيف على مهلٍ وتأنٍّ، بهدف الاسـتمتاع بها.
4. فنجـان الجاهـة، وهـو فنجـان قهوة السـاعي إلى خطبـة الرجـال للنسـاء، فيقـدم هـذا الفنجـان كشـاهد علـى الرضـا والقبـول بـين الطرفين.
5. الفنجـان المعيـوف، وهـو الفنجـان الـذي يرفـض شـاربه أن يشـربه؛ لأي سـبب طـارئ، وليس لعدم شـرب القهوة لطلب ماء، فهذا الفنجان يتم سـكب القهـوة منـه وغسـله، وأخـذ فنجـان آخـر لصب القهوة فيـه، وتقديمـه للضيف.

**معاميل القهوة، وهي الأوعية والأدوات الخاصة بعمل القهوة، وتتألف من:**

1. السِّـف: وهـو عبـارة عـن طبق مصنوع من عسـق سـعف النخيـل، ويسـتخدم لفـرز حبـوب البـن الخضـراء وتنظيفهـا، بحيـث توضـع فيه، ثـم تهزّ وتفـرز الحبـوب الجيـدة لعمليـة التحميص.
2. التَّـاوَه: وهو وعاء أسـطواني مجـوّف من الداخل، ومصنوع من الحديد القوي، العميق بعض الشـيء، ولـه مَمْسَـك طويـل، وفي طرفـه حلقـة للتعليـق، تحمّـص فيـه حبـوب البـن حتـى يتغيّـر لونها من الأخضـر إلـى الذهبي.
3. المِحْمَـاس: هـو قضيـب مـن الحديد طويل يشـبه الملعقـة المسـطّحة، عنـد طرفـه حلقـة للتعليـق: ويسـتعمل لتقليـب حبوب الـبن في التـاوه، حتى لا تحتـرق أثنـاء الحمّس.
4. الكُـوَار: هـو موقد النار، ويصنع مـن مواد منوّعة، مثـل الحديـد أو النحاس، ويكون على شـكل مربع أو مسـتطيل، ولـه أربعة قوائـم، ترفعه عن الأرض.
5. الصريدان: هو نوع آخر من مواقد النار.
6. المِهْبَـاش: هـو أداة مصنوعـة مـن الحديـد أو النحـاس على شـكل ملقط لمسـك الجمـر وترتيبه وصفّـه حـول دلال القهـوة.
7. المهفّـة: هـي قطعـة مربعـة الشـكل، تنسـج مـن خوص سـعف النخيـل، وتثبّـت من أحـد أطرافها بعصـا قصيـرة مـن جريـد النخيل.
8. المِنْسَـف: هـو وعاء دائري من جريد النخل، يشـبه المنخل، ويسـتخدم لتحريك حبـوب البنّ لتخليصها من الغشـاء الرقيق الذي يغلّـف حبّة البنّ.
9. النَّجِـر: ويطلـق عليـه المنحـاز والنقيـرة والهاون، كلهـا أسـماء لكلمـة واحـدة، هـو وعاء أسـطواني الشـكل، مجـوّف مـن الداخل، يصنع مـن النحاس الأصفـر، وتوضع فيه حبوب الـبنّ بعد التحميص، ثـم تدق وتطحـن، حتى تصبح الحبـوب ناعمة.
10. الرِّشـاد: هو يـد النجر، ومصنوعـة من النحاس الثقيل.
11. الخريطـة: هـي كيـس صغيـر من الجلـد يحفظ فيـه مسـحوق الـبنّ لحمايته مـن التلوّث.
12. التِّقَايـة أو البيـز: علـى وزن كلمـة بيـض، هـي قطعـة مـن القمـاش السـميك، تحاك على شـكل مربـع، ولا يزيـد طولهـا وعرضهـا علـى 15 سـم، ثـم تحشـى بالقطـن، وتغلّـف بأنـواع مختلفة من الأقمشـة الحريريـة.
13. طـاس الغسـول: هـو وعاء دائري الشـكل، مجـوّف ومصنـوع مـن النحـاس، ولـه اسـتخدامات عـدّة.
14. الشّـت: هـو وعـاء أسـطواني الشـكل، مغلـق مـن أسـفله، وله غطـاء مـن الأعلـى، ويصنـع مـن النحـاس أو مـن الخشـب، ويسـتخدم لحفـظ الفناجـين بداخلـه.
15. الفناجيل.
16. دلال القهـوة: ولها أحجـام وأنواع واسـتخدامات مختلفـة، وأهمهـا دلة الخمـرة ودلة التلقيمة ودلـة التغنيم ودلة المزلّة.

ولاتـزال للقهـوة سـمتها وسـنعها عنـد الجميـع، والاهتمـام بهـا يمثـل الاهتمـام بالعـادات والتقاليد الموروثـة، وقـد حفـظ شـعراء النبـط الإماراتيين كل جوانـب القهـوة، مـن خـلال آداب صبّهـا وشـربها وتوزيعهـا بـين الحضـور، وأنـواع الـدلال، حتـى أصبحـت هذه الأشـعار وثيقة مهمة، تؤكـد أن القهوة أحـد موروث السـنع والهوية الوطنيـة لدولة الإمارات العربيـة المتحـدة.

وللقهوة آداب كثيرة، توضّح أهمية هذا السـنع، واحتفاظ الخلـف بما تركـه لهم السـلف، فتتبعـوا الطريـق ذاته، ولـم يحيدوا عنـه، واليـوم يورثونه للجيـل الحالي الذي سـوف ينقله بـدوره، إن شـاء الله، للجيل القادم.

**آداب وتراثيات صب القهوة من خلال العادات والتقاليد**

ومـن آداب صـب القهـوة أولاً أن يكـون رب المنزل أو أحـد أبنـاء رب المنـزل، وبدايـة هـذه العـادات المتوارثـة مـا يتعلـق بالمقهـوي، وهو صاحـب الدلّة والمعنّـم؛ أي الـذي يقـوم بصـب القهـوة للضيوف، ومن هذه الآداب والعادات:

1 ـ أن يكون حافي القدمين.

2 ـ أن يكون واقفاً عند صب القهوة.

3 ـ ألّا يسمح لوالده بصب القهوة للضيف بوجوده.

4 ـ أن يكون موقعه في أول المجلس قرب الباب.

5 ـ أن يشرب ويجرب الفنجان الأول.

6 ـ أن يَنْفُـض ـ أي يهـز ـ الفناجـين التـي بيده قبل أن يصب القهـوة فيها.

7 ـ أن يمسـك مقبـض الدلّـة مـن الوسـط، وإصبعه الإبهـام أعلـى المقبض.





8 ـ أن يمسـك الدلّـة باليد اليسـرى، والفناجين باليد اليمنى.

9 ـ أن يكـون عـدد الفناجـين التـي يحملهـا في يـده ثلاثـة فناجـين فقط.

10 ـ تقديم القهوة لصاحب الجاه أولاً.

11 ـ علـى المقهـوي أن يتقـدم أمام الضيـف، ثم يقوم بصب القهـوة له.

12 ـ إذا هـزّ الضيف الفنجـان، فعلى المقهوي أن يقول له: زيد.

13 ـ علـى صاحـب المقهوي أو صاحـب الدلّة أن يقول سـلمّت، إذا قال لـه الضيف غْنِمّت.

14 إذا دخـل ضيـف جديـد فعلى المقهـوي أن يتوقف عـن صـب القهوة حتـى يأخـذ الضيـف مكانه في المجلس.

15 ـ ومـن آداب صـب القهوة، أن يبـدأ المقهوي بصب القهـوة لكبيـر السـنّ أو كبيـر المجلـس، أو كبيـر الضيـوف، يقول الشـاعر أحمـد بـن دري الفلاحي:

**يا ما حلا الفنيال بالبنّ والهيل**
**في مجلسٍ فيه القـروم الـرجالي**
**صبّه على ضيفك كبير الرجاجيل**
**أشقر حمـر شـروات دمّ الغـزالـي**

وكثيـراً مـا أتـى الشـعراء علـى وصـف لـون القهوة بالـدم، للتأكيـد بأنهـا قـد حُضِّـرَت للتـو، وأنها من أجـود أنـواع القهوة، وكل هـذه الدلائل للإشـارة إلى الكـرم العربـي، وإلى أهميـة القهـوة في حياتهم، وفي هـذا المعنى يقـول الشـاعر سـالم الدهماني:

**ف دْلال حلوات المثاعيب ينْهرق كانّه دمّ جاموس**

16 ـ العادة في صب القهوة أن يبتدئ باليمين، ثم عن يمينه ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، يقول الشاعر محمد بن صلهوم القبيسي:

**الدلال فيهن بنٍّ أشقر**
**وبها المقهوي يتّليهم**
**فنجالها الصبّاب ساقه بيمناه**
**على اليمين وقال خذها يا موالي**

17 ـ ومن آداب صبّ القهوة أن يصب المقهوي القليل من القهوة في الفنجال؛ لأن صب كثير منها يعد مخالفاً للعادات والتقاليد، ويقال عنه عندئذ «منقود»، وهذه الكلمة لا يقبلها أحد في مجتمع دولة الإمارات، ويقول الشاعر علي بن سلطان بن بخيت العميمي:

**يشرب وفنجانه مْظرّف والمزر عند الناس منقود**

18 ـ ومن الآداب والتراثيات المتعلقة بالقهوة أن يكون المدخن حاضراً، والطيب ينشر شذاه للحاضرين، يقول الشاعر حمد بن علي بن المدحوس المرّي:

**إلبنّ يحْمس به على كلّ حزّه والطيب يمشي بينهم ويزداد**

ويقول الشاعر علي بن رْحمة الشامسي:

**عقب العشا رزفة وْطماشات والقهوة وْيا المدخن يْدور**

وعلى المعنى نفسه بأن يوجد المدخن مع القهوة، يقول الشاعر علي بن سلطان بن بخيت العميمي:

**قال الِقْهوة بالمدح توصف لْها احترام السمت موجود**
**في برزة الحكّام تعرف أهل الشرف وافين الِعْهود**
**يوم ابرزوا وتكمّل الصف بْها كبير السن مقصود**

ومن الآداب العامة للقهوة ألّا تكون محروقة؛ أي وضعت على النار حتى احترق البن، وبالتالي فإن طعمها يتغيّر، كما أنها منقودة عند المجتمع، وتشكل نقداً لاذعاً لصاحبها، وأيضاً الكل يحذَر من عدم حرق القهوة، يقول شاعر مجهول:

**قنّد الفنيان بالهالي والحذر لا تيك محروقه**

ويقول الشاعر راشد بن طنّاف:

**لك حامس البن لي يقعد الراس**
**وامقنّده قلاّيها ما حرقها**

ويقول صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم:

**يوم حمّاسه عنه ينسا انحرق في وسْط محماسه**

ومن تراثيات القهوة الفنجان المسبوع، وأصبح مضرب للأمثال في الشعر، ومجالاً للتنافس والتفاخر بين الناس في مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة، ويتكون من المواد التي تؤكد أن القهوة رمز للاعتزاز والكرم والأصالة، ويحتوي الفنجال المسبوع بجانب القهوة على الهيل والزعفران والقرنفل، ويقول الشاعر محمد بن كاسب المهيري:

**يا من جدا الِبْدوعي كوسٍ ريّف هواه**
**فنجالهم مسبوعي لو في ذاري غضاه**
**بنٍّ يفكّ الصوعي ويذكّر بصحباه**

ويقول الشاعر سالم الجمري:

**ف المجالس تعْمل الدلّه قنّدت بالهال مسبوعه**

ومن تراثيات القهوة الدالّة على الكرم والجود والسنع، أن تقدم مع النكهات الأخرى، مثل الزعفران والهيل والقرنفل والمسك، وهذا يدل على كثرة الكرم والجود والعطاء والبذل، يقول الشاعر عبدالله بن سالم بن نعمان الكعبي:

**خذ معاميل السفر من كلّ فيد**
**والسفر خذ له مجاهيزٍ تمام**
**من معاميلٍ ومن بنٍّ قنيد**
**ودلّةٍ فيها مخلّط كلّ شام**

ويقول الشاعر راشد بن محمد بن عبلان الكتبي:

**واثنى تراحيبٍ رْضافي  لْهن وزن ف القلب وثْقال**

**ما يعطي الضايف تجافٍ  ياللي يخشر البنّ بالهال**

ويقول الشاعر عبيد بن سالم بن هيّاي المنصوري:

**نخدم على الفاقات خطوات فنجال**

**فنجال بنٍّ مكْثرٍ به بهاره**

**ريحه يشوق الراس يا ذرب الافعال**

**مْزعفرٍ والهيل نشري خياره**

ويقول الشاعر أحمد بن فاضل المزروعي:

**هل دلالٍ ما يونّي مقهْويهم**

**تنعمل بالمسك والبنّ والهالي**

ومن التراثيات مصطلح «مثولث»؛ أي خُلِطَ مع القهوة بعض المنكهات الإضافية، لا سيّما الهيل والزعفران، وهذا يدل على الاعتناء بنكهة القهوة، ثم الاعتناء بالضيف، وهو من باب التقدير والاحترام له، وتقديم كل ما هو طيب المذاق.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر محمد بن سيف بن مردان المزروعي:

**سوّيت فنجالٍ من الأيمنيّة  مثولثٍ من زعفران وْهيل**

ويقول الشاعر سعيد بن كلفوت بن مهيلة الشامسي:

**وجا بالبن لي مْثالث بهيل  شربْت مْنه وبرّد لي هيافي**

ويقول الشاعر حميد بن سعيد المنصوري:

**ي عْبيد شبّ النار في كيفة الراس**

**في صيهدٍ عشبه شباعٍ رواعيه**

**ودْلال رسلانٍ ومقلى ومحماس**

**ونجْرٍ إلى ثولث جذب لي حواليه**

وقد أصبح التفاخر بالكرم، والاعتزاز بالقهوة، جانباً من السنع الإماراتي، الذي يؤكد على الكرم من جانب، ومن الجانب الآخر التمسك بالموروث الشعبي، ويأتي ذلك من خلال ذكر مصطلحات كثيرة تؤكد هذا المعنى، مثل الفناجيل، الدلال، النجر، التغنيم، المعاميل، البنّ، الكيف، الصوع، القناد، المنحاز، المقهوي، الضيف، الضو، الليل،





ويقول شاعر مجهول:

**لقّم دلاله باستراحه  والغاف كنّه فوع رمّان**

ويقول شاعر مجهول آخر:

**م الأصايل بنت صوغاني  لي تحارب شيفة الظلّه**

**فوقها منقل وهبّاني  والنجر والظرف والدلّه**

ويقول الشاعر حمد بن علي المدحوس المرّي:

**ومْقابلٍ لي جيتهم ما تملّه**

**والبنّ الْمَشْقر في فناجيل صينها**

ويقول الشاعر راشد بن سالم بن مسلّم المنصوري، وقد جمع أنواع القهوة التي تقدم للضيوف، وهم المسيّر والمدوّر والطروش، فالمسيّر هو الضيف الذي يأتي من دون موعد، ثم يذهب، أما المُدَوِّر فهو الذي يضيع له بعير أو ناقة أو قعود، فيذهب في أَثَرِه باحثاً عنه، وتلفظ محلياً في دولة الإمارات العربية المتحدة «بِدَوِّر»، حيث إن لكل صنف من هذه الأصناف أدب وسنع متبع في عمل القهوة وصبّها، فمثلاً المدور يشرب القهوة في كل يوم أثناء البحث ثلاث مرات فقط، مرة الصبح، ومرة الظهر، ومرة قبل مغيب الشمس:

**وكلّ يومٍ في جديد  وكانّهم في زِيٍّ عيد**

**والمسيّر والمِدَوِّر  والطروش اللايفين**

أما الشاعر محمد بن عايض بن هادي الأحبابي، فيؤكد أن القهوة هي التي تساعد على راحة الضيف، وفك الصوع الذي يجده برأسه من عدم شرب القهوة لبعض الوقت، وغياب رائحتها عنه الذي وصل مرهقاً وتعباً؛ لذا فإن أول ما يتلقاه الضيف من المُضِيف هو القهوة العربية، فيقول:

**إلي لفوا من فوق حيلٍ عراميس**

**خاوين من كثر التعب والعماسي**

**يلقون من عذْي المحاميس**

**ويزلّ بدْلالٍ حكمْها القياسي**

ويتابع على هذه الصفة للقهوة العربية، فيقول:

**قم يالسنافي سوّ هيله وبنّه**

**وزلّه لنا بمخوصمات المثاني**

**قلّط لنا الرسلان والنجر دنّه**

**وجْب الْحِطَبْ يا شوق زين الزياني**

**صبّه على اللي مولعٍ به وثنّه**

**يجلي من الراس العمس في ثواني**

# القهوة

**القهوة شراب العرب المميز منذ القدم، وهي رمز من رموز الكرم، وحسن الضيافة عند العربي في كل الدول العربية بصورة عامة، وفي الدول الخليجية بصورة خاصة.**

د. يوسف النشابة
كاتب وباحث - البحرين

للقهوة تاريخ عريق، وقصص وحكايات وطقوس وعادات وفتاوى دينية وقانونية تحدّ من استخداماتها، ولها مسميات تختلف من بيئة إلى أخرى، حيث إن أهل البحرين، يطلقون عليها «السمرة»، مشبهين إياها بالفتاة ذات البشرة السمراء، وكذلك يُطلق عليها «بنت أجود»، وذلك لما لها من معزّة كبيرة؛ فقد انتشرت القهوة بين الناس، لكن انتشارها لم يكن سهلاً ميسوراً، إذ اتهمت بأنها من المسكرات، فصادفت فتاوى من فقهاء ومشايخ حرّموها وعدّوها مشروباً يخدش مروءة الرجل.

**تاريخ شجرة البن:**

هناك اختلاف في موطن شجرة «البن» الأصلي؛ فمنهم من يدعي أن موطنها الأصلي جبال الحبشة، وتم نقلها إلى بلاد اليمن، حين غزا ملك الحبشة أبرهة بلاد العرب، متوجهاً إلى مكة قاصداً هدم الكعبة المشرفة، وبعد عبور البحر الأحمر، كان في حاجة للراحة، والإشراف على بناء كعبة بديلة في صنعاء، (موقعها لايزال موجوداً)، وهذا ما جعل الأحباش يزرعون شجرة البن، حيث استقروا.





ومن الحكايات التي تؤرّخ اكتشاف القهوة، أنه في هضاب إثيوبيا، حيث تكثر الأمطار والنباتات، لاحظ راعٍ إثيوبي اسمه «ك الدي»، أن الماعز كلما التقطت ثماراً حمراء لامعة تصبح أكثر نشاطاً، وتترنح ذات اليمين وذات الشمال، وذات ليلة، شعر الراعي «ك الدي» بالنعاس.. ففكر قليلاً، وقرّر أن يتناول تلك الثمار الحمراء، لكنه وجد صعوبة في مضغها، فقام بغليها، وبعد تناولها أصبح أكثر نشاطاً وحيوية، واستطاع أن يتغلب بها على النوم. وفي الصباح أخذ الحبوب إلى أهل قريته، وقدمها كهدية إلى رئيس القرية، فرفضها بحجة أنها من الشيطان، وقذفها بالقرب من النيران، فتحمصت، وفاحت رائحتها الزكية، وعندما تناولها أهل القرية، قالوا إنها هدية من السماء، ومن يومها دخلت القهوة جميع بيوت القرية، وصارت هي مشروبهم المفضل. (١) (نقولا زيادة).

ومن الحكايات المختلفة أن رئيس أحد الأديرة في الجزيرة العربية، هو الذي استدل على قوة ثمرة البن، حين خرج يوماً إلى البر، فرأى قطيعاً من الماعز، كان بعضها ينشط ويمرح بعد أن أكل من شجرة البن (العربي).

وفي رواية أخرى أن شجرة البن، زرعت في جبال اليمن، ثم انتقلت إلى الحبشة مع اللغة الحميرية اليمنية القديمة التي يتكلمها الإثيوبيون على يد التجار اليمنيين.

**تحريم القهوة:**

أفتى العديد من الفقهاء بجواز شربها، ومنهم الشهاب بن حجر، التي قال في كتاب «الإيعاب»، إنها حلال ما لم يقترن بها عرض يقتضي التحريم.

وقد أجاز الشيخ أحمد الخليلي، شرب القهوة كسائر المشروبات، مثل العسل واللبن وعصائر الفواكه.

وألّف الشيخ فخر الدين أبوبكر بن شرف الدين إسماعيل بن أبي يزيد المكي الشافعي رسالته «إثارة النخوة بحكم القهوة»، التي عرض فيها من سعى لتحريم القهوة.

وهناك من حرمها من المفتين، ومنهم الحكيم الكازروني وشمس الدين القطان، وهو خطيب في المدينة المنورة.

إن أول من شرب القهوة بعد العرب، هم الأتراك والفرس، وذلك لقربهم من أماكن إنتاجها.

يُعدّ موقع عُمان استراتيجياً؛ فقد لعب دوراً كبيراً في التحكم في مسارات التجارة الدولية منذ القِدم، وخاصة في السواحل الشرقية من شبه الجزيرة العربية: البحرين وقطر والكويت وشرق المملكة العربية السعودية.

كما لعبت عُمان دور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب، ومن هذه التجارة تجارة البُن. إن أفضل وقت للقيام بالأعمال التجارية في مسقط هو مع بداية شهر

أكتوبر، عندما تبدأ الرياح الموسمية من (مخا)، فيكون شراء القهوة ممكناً.

لقد ركز الإمام أحمد بن سعيد جهوده في تجارة البُن حتى نجح في احتكارها في منطقة الخليج العربي تقريباً. وأصبح ميناء مسقط في عهده «يحتكر توريد البُن إلى شمال الخليج، بالضبط إيران والعراق».(2) وقد ارتبطت القهوة في أنحاء عديدة من أوروبا – وفي فترة في بريطانيا – بالعرب والمسلمين، وعدّت «بدعة إسلامية»، وكانت تسمى «نبيذ المسلمين». وتعرضت القهوة إلى حملات من متعصبين مسيحيين، كانوا يعدّونها تهديداً لنقاوة الديانة المسيحية، ومؤامرة إسلامية لصرف المسيحيين عن ديانتهم! ووصلت القهوة إلى بريطانيا في القرن السابع عشر، عبر المسلمين، ومن خلال التبادل التجاري بين بريطانيا والعالم الإسلامي، خاصة عبر البحر الأبيض المتوسط.

وأسهم التأثير التركي العثماني في ذلك؛ ففي عام 1669 قدم السفير العثماني سليمان آغا القهوة إلى بلاط الملك لويس الرابع عشر.

أما انتشارها بين عموم الأوروبيين، فقد كانت البداية في معركة فيينا في 12 سبتمبر 1683 بين الجيوش العثمانية، بقيادة الصدر الأعظم الوزير قرة مصطفى من جانب والقوات الألمانية والبولندية والنمساوية من جانب آخر، وكانت الهزيمة للجيش العثماني، الذي هرب تاركاً وراءه العديد من الأكياس المملوءة بالبن.

وشرح الأسرى الأتراك كيفية تحضير القهوة من البن للأوروبيين، ومن هنا أطلق على القهوة (تركش كوفي)؛ أي القهوة التركية.

وحرمت الحكومة الألمانية شرب القهوة في عام 1771 لأسباب وطنية واقتصادية، باعتبار أن القهوة تستنزف أموال الشعب الألماني، وتجعلهم ينصرفون عن صناعة البيرة التي كانت رمزاً للهوية الألمانية.

حتى إن مجموعة من البريطانيات رفعن عام 1674 عريضة للمطالبة بإغلاق المقاهي التي أفسدت رجالهن، ورضخ الملك تشارلز الثاني إلى جماعات الضغط الإنجليزية، وقرر إصدار حظر على القهوة، لكن الحظر لم يدم طويلاً.

وفي إيطاليا قوبلت القهوة بتشكيك وتوجس، على اعتبار أنها مشروب «المسلمين الكفار»! وقد طلب رجال دين من بابا الفاتيكان كليمنت الثامن، آنذاك إصدار تحريم لها، لكنه عندما جربها أعجبه ذوقها، فقام بـ«تعميدها» وتحليل شربها.

انتشرت القهوة بين مجالس الصوفية، الذين أطلقوا عليها «خمرة الصالحين»، وربما جاءت هذه التسمية رداً على علماء الدين الذين حاربوا القهوة، ورأوا فيها نوعاً من المحرمات المسكرات.

وصارت القهوة المشروب الأول عند جماعات الصوفية، حيث تعينهم على السهر حتى مطلع الفجر.. وللاستزادة منها زرعها الصوفية في مدينة «مخا»، ومن اسمها ظهرت كلمة «موكا»، أحد أشهر أصناف القهوة الآن، وأصبحت اليمن هي موطن القهوة في الجزيرة العربية، ومنها انتقلت إلى مكة.

وفي مكة انقسم المجتمع حولها إلى فريقين: أحدهما يحلل القهوة، ويعدّها منبهة للذهن، منشطة للجسم،





معينة على السهر، والآخر يرى أنها من المسكرات، حتى إن بعضهم ساوى بينها وبين الخمر، واستعان الفقهاء المعارضون للقهوة بالسلطة الحاكمة، وأصدر حاكم مكة قراراً حكومياً عام 1511 بتحريم تناول القهوة، واستمر هذا التحريم قائماً حتى عام 1524 للميلاد.

ولم يستمر التحريم طويلاً؛ فقد أحلت القهوة في أعوام تالية، وتم تقديمها إلى حجاج بيت الله. ولمقاومة انتشار القهوة، صدرت فتاوى في بقية مدن الحجاز تحرّم جلب القوة من مكة، وظل الأمر هكذا بين شد وجذب زمناً طويلاً، ولم ينس الناس، أمر تحريمها إلا مع قيام الدولة السعودية الأولى.

ومن الحجاز انتقلت القهوة إلى مصر عبر الطلاب اليمنيين الذين يدرسون في الأزهر الشريف، وصادفت القهوة معارضة من علماء الدين في الأزهر، وصدرت مرتين فتاوى بتحريم شربها، إلا أنها لم تكن بالقوة الكافية لمنع انتشارها بين الجماهير.

**القهوة.. فوائدها وأضرارها:**

تعدّ القهوة من المنبهات؛ ولهذا ينصح بالاعتدال في شربها، ولا يكاد يخلو منها بيت أو مقهى، ويشربها أغلب الناس على اختلاف طبقاتهم، وتعليمهم وثقافتهم؛ فمنهم شيوخ القوم والأطباء والعلماء ورجال الدين والمثقفون والعاملون. ومن فوائد القهوة أنها تنبه عمل الدماغ، وتساعد على السهر الطويل، وهي دواء لتقرح العيون، ولداء الاستسقاء وداء المفاصل والإسقربوط، ولا تسبب أي إسهال أو إمساك. (تراثنا – المسلم).

# من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي

يتناول هذا الكتاب لمؤلفه محمد الأرناؤوط تاريخ القهوة، التي تتميز عن غيرها من المشروبات بتاريخ ثقافي في العالم العربي والإسلامي، لا يمكن أن نجد له مثيلاً في المشروبات التي جاءت من موطنها الأصلي إلى هذه المنطقة. وربما كانت طبيعة المشروب، والهيئة التي كان يشرب فيها وراء هذا الجدل الواسع، الذي قسم الفقهاء والأدباء خلال قرون عدة، ما أدى إلى تراكم نتاج فقهي أدبي، لايزال يستحق الدراسة، كما أدى إلى حراك اجتماعي، نتيجة لظهور بيوت القهوة والمقاهي، وما صاحب ذلك من استقطابها مظاهر جديدة (الغناء والمسرح الشعبي الحكواتي).

إذ تكشف «واقعة مكة» عام 1511 عن هذا الجو الذي «ضبطت» فيه القهوة، وهي تشرب في جوار الحرم، حيث إن المحضر الذي رفع حينئذ إلى العاصمة القاهرة، يكشف عن عناصر الارتياب في تأثير هذا المشروب الجديد في الوسط المحلي، وخاصة أن هذا المحضر نفسه قد تضمن أيضاً أول أسباب ومظاهر الخلاف حول القهوة بين الفقهاء، والذي سيستمر بعد ذلك قروناً عدة.

يقول المؤلف إن «واقعة مكة» سنة 1511، تكشف أن القهوة كانت قد وصلت الحجاز قبل سنوات على الأقل، حتى انتشرت، وارتبطت بها مظاهر معينة، كما هو واضح من المحضر الذي حرر الواقعة، وأرسل إلى القاهرة تلك السنة، وهو أقدم ما لدينا من النصوص التي توفر بعض المعطيات المتعلقة بوصول القهوة وانتشارها في مكة.

وكان السلطان قنصوه الغوري (1500–1516) قد عين خاير بك، ناظراً على الحسبة في مكة، حيث رأى في إحدى ليالي 1511 خلال طريقه من الكعبة إلى بيته، جماعة تحتفل بالمولد النبوي، ووجد بينهم شيئاً يتعاطونه، على هيئة الشربة التي يتناولها المسكر،



ملف العـدد

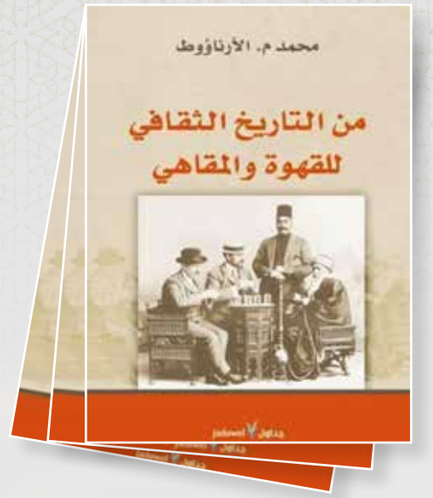


ومعهم كأس يديرونها ويتداولونها بينهم، فسأل عن الشراب المذكور، فقيل هذا شراب اتخذ في هذا الزمان، ويسمى القهوة، حيث يطبخ من قشر حب يأتي من بلاد اليمن، يقال له البن، وإن هذا الشراب قد فشا أمره بمكة، وكثر وصار يباع في مكة على هيئة الخمارات، ويجتمع عليه بعض الناس بالرهن وغيره، مما هو ممنوع في الشريعة المطهّرة.

ويبدو أن السلوكيات الجديدة قد أقلقت ناظر الحسبة (الوصي على أخلاق المجتمع)؛ ولذلك فقد جمع صباح اليوم التالي قضاة الإسلام وعلماء الدين؛ لمناقشة أمر القهوة. ويبدو من المحضر المذكور أن الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعي (مفتي مكة آنذاك)، كان من المدافعين عن القهوة، خلال ذلك الاجتماع، مما عرّضه إلى مصاعب بعد أن كفّره بعض الحاضرين، وقد وصل الأمر إلى أن يرسل مع المحضر المذكور إلى العاصمة القاهرة سؤالاً يشير إليه لاستصدار فتوى ضد القهوة.

ويضيف المؤلف أن مرسوم السلطان الغوري، والذي نشر إثر الواقعة، لم يستجب لما ورد في السؤال المتحيز ضد مفتي مكة، وذلك لقيامه بالتمييز بين قبول القهوة ومنع شرابها، من التظاهر بشربها والدوران في الأسواق، ولعل هذه الروح التوفيقية – برأي الكاتب – تعكس الجو العام في القاهرة، وبالتحديد حول اختلاف العلماء بين مؤيد ومعارض للقهوة، وما أسفر عنه من تجاذب ديني اجتماعي سياسي غير مألوف.

ففي هذا الإطار يبرز أولاً شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (1420–1520)، الذي أصدر فتوى بمنع الناس شرب القهوة، إلا أن المولعين بشربها راجعوه في ذلك، مما دعاه إلى اختبار شاربي القهوة، حيث لم يرَ منهم من الكلام ما هو فاحش، بل وجد منهم





انبساطاً قليلاً، ولذلك فقد صنف في حلها مصنفاً قاطعاً بالحل.

وفي المقابل، وجد في محيط الأنصاري من عارض القهوة، أمثال الشيخ ابن عبدالحق السنباطي، الذي أخذ يقود حملة في مجالسه بالأزهر ضد القهوة وبيوتاتها، من خلال الدعوة لحرقها، فنتج عن ذلك فتنة كبيرة.

ومن ذلك قول الشاعر:

**إن أقواماً تعدوا والبلا منهم تأتى**
**حرَّموا القهوةَ عمداً قد رووا إفكاً وبُهْتا**
**إن سألت النص قالوا إن عبدالحق أفتى**

ولتجنب هذه الفتنة، أحيل الأمر إلى قاضي القضاة محمد بن إلياس الحنفي، الذي أحضر جماعة ممن يشربون القهوة، فأمر بطبخها، وسُقوا منها بحضرته، وجلس يتحدث معهم معظم النهار، فلم ير منهم شيئاً منكراً، فأقرّها في حينها. ويبدو أن هذه الفتوى قد شجّعت أنصار القهوة، وهذا ما يتضح من خلال فترة خسرف باشا، الذي تولى حكم مصر (1534–1536)، والذي عرف زمانه بتفشي القهوة والمقاهي.

إن معظم الروايات تربط بين القهوة والطرق الصوفية، وبالتحديد الشاذلية، حتى أصبحت علاقتهم بالقهوة وطيدة، إلى حد أن اسمها أو شربها أصبح يرتبط بشكل وثيق بالشاذلي نفسه، (أبوالحسن علي بن عمر الشاذلي، المتوفى سنة 1418م، جمال الدين بن عبدالله الذبحاني اليمني، المتوفى عام 1470م، أبوبكر بن عبدالله العيدروسي المتوفى1503م).

ويرى المؤلف أن وصول القهوة إلى جنوب بلاد الشام من الحجاز واليمن، توافق مع التغير السياسي الذي حصل في المنطقة (سقوط الدولة المملوكية وبروز الدولة العثمانية)، كما أن معظم الروايات المختلفة تربط ذلك بأشخاص عدة من دراويش الطرق الصوفية، وبالتحديد الطريقة الشاذلية ـ كما ذكرنا قبل قليل.

وهكذا نجد مثلاً أن القهوة في الجزائر تسمى «شاذلية»، بينما نجد في ضواحي دمشق إلى مطلع القرن العشرين أن صاحب البيت حين يأخذ إبريق القهوة من على النار، يسكب الفنجان الأول على الأرض؛ لأنها «حصة الشاذلي».

بيد أن استقرار القهوة في المحيط الفقهي الشامي لم يكن بتلك السهولة، إذ إن الأمر كان يتعلق بالقاضي الموجود في دمشق، والذي كان يتغير من حين لآخر، ويتغير معه الموقف برمته. وهكذا بعد سنوات عدة، عين الشيخ الحسيني قاضياً، واتفق مع بعض العلماء المعروفين على تحريم القهوة، ولم يكتف بهذا، بل عرض الأمر على السلطان سليمان القانوني، فورد أمر بإبطالها سنة 1546.

لكن سرعان ما اختلف الأمر بعد وفاة السلطان، من حيث عودة الناس إلى شرب القهوة ثانية في عهد والي دمشق لالا مصطفى (1563–1568). ومما أسهم في ترجيح كفة أنصار القهوة، أن العلماء المناصرين لها، أخذوا يرتادون بيوتها، ويتمتعون بشربها هناك، ويشرعون في الكتابة دلالة على ما أصبحت تعني بالنسبة لهم. كما أصبحت بيوت القهوة تجذب المزيد من الرواد؛ لاعتبارها أماكن للتسلية والمتعة،

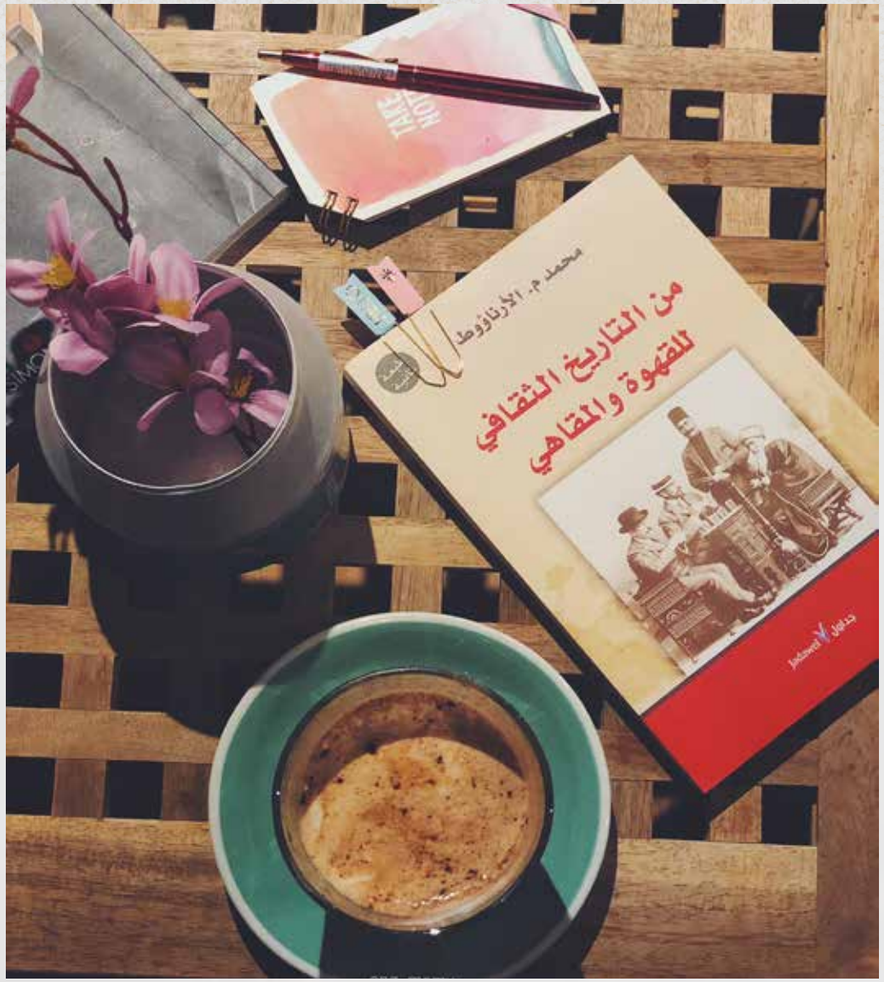


من خلال الاستماع إلى المغنين المعتبرين في عصرهم. وهذا ما يحيل إليه الشاعر بقوله:

**أرى قهوة البن في عصرنا  على شربها الناس قد أجمعوا**

ويذهب الكتاب إلى أن البوسنة كغيرها من مناطق شبه جزيرة البلقان، عرفت تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية، بعد ضم هذه المناطق إلى الدولة العثمانية. وقد تميز العصر العثماني الطويل في البلقان (ق14–ق20) منذ بدايته، بتطور عمراني مثير، أسهم في بروز مدن بملامح شرقية، إذا أصبحت بلغراد تعرف مثلاً بـ«دمشق الأوروبية»، كما بدا ذلك من خلال الأزياء والأطعمة والأشربة، ولذلك فقد اختفت عند المسلمين البلقانيين بعض





الأطعمة والأشربة كلحم الخنزير، ودخلت لديهم أصناف جديدة (الكباب والبقلاوة).

ومن ناحية أخرى، فقد أصبح طريق الحج الحيوي (سراييفو - إسطنبول - حلب - دمشق - المدينة - مكة) جسراً مهماً للتواصل الحضاري، تنتقل فيه الأفكار والسلع الجديدة في اتجاهين وليس في اتجاه واحد. وكانت القهوة قد عرفت في اليمن والحجاز بداية الأمر، ومن هناك وصلت أولاً إلى دمشق في مطلع القرن السادس عشر، وتابعت طريقها إلى حلب.

وبالاستناد إلى ما يذكره المؤرخون العثمانيون في هذا المجال، فقد عرفت إسطنبول القهوة، والمقاهي سنة 1554، حيث قام شخص من دمشق، وآخر من حلب بفتح مقهيين في محلة، تحت القلعة، وأخذ يتردد على المقاهي الأئمة وطلاب المدارس الدينية، حتى تقاعس كثير منهم عن الذهاب إلى الجوامع، مما أثار سخط بعض علماء الدين الذين بادروا إلى إصدار الفتاوى التي تحرم شرب القهوة؛ لتبقى كذلك حتى سنة 1591.

غدت المقاهي في البوسنة تقدم متعة لزبائنها، تتمثل في «الرواة» الشعبيين الذين كانوا على اطلاع جيد على التراث الشرقي، مما أسهم في دخول مؤثرات شرقية إلى الأدب الشعبي البوسني.

وفيما يتعلق بسراييفو عاصمة البوسنة، فمن المؤكد أن القهوة وصلت، وانتشرت في النصف الثاني من القرن السادس عشر، لكن هذا الانتشار لم يتم من دون معارضة.

إذ تفيدنا رسالة مصطفى الأقحصاري المتوفى سنة 1755 (رسالة حول القهوة والدخان والأشربة)، من خلال مقدمة رسالته، بمعرفة أن الخلاف حول القهوة في البوسنة كان لايزال مستمراً، ورسالة من مصر لعبدالله الأدكاوي، ورسالة من صربيا للهر سكلي .

فالقهوة كانت قد انتشرت في البوسنة خلال ذلك الوقت، وباتت لصيقة بعادات وتقاليد اجتماعية، من خلال اعتبارها رمزاً للاحتفاء بالضيف. فدعوة شخص ما إلى «فنجان من القهوة»، كانت تعني التشريف له ولصاحب البيت، كما باتت تعدّ مادة ثمينة؛ ولذلك كانت تقدم وتؤخذ كهدية في المناسبات المختلفة .

# عالم القهوة

لـم يكـن عالـم القهـوة أفضل مما هـو عليه في هذه الآونـة، فهناك كمّ هائـل مـن المعلومـات والمعرفة عن زراعـة البن لـدى المنتجين، أكثر من أي وقـت مضـى، بل يمكنهـم أيضاً الوصـول إلـى مزيد مـن الأصناف، ومـن تقنيـات الزراعـة الحديثـة المتخصصـة بسـهولة، ومـن أي مـكان. قديمـاً لم تكن هنـاك دراية كافيـة لـدى مـن يقومـون بعمليات التحميـص، بأهمية اسـتخدام البن الطـازج في التحميـص، لمـا لـه من أثـر إيجابـي كبير في جـودة القهوة، ومـع كل هذا، مـازال فهمهم لعملية التحميـص مسـتمراً في التحسـن،





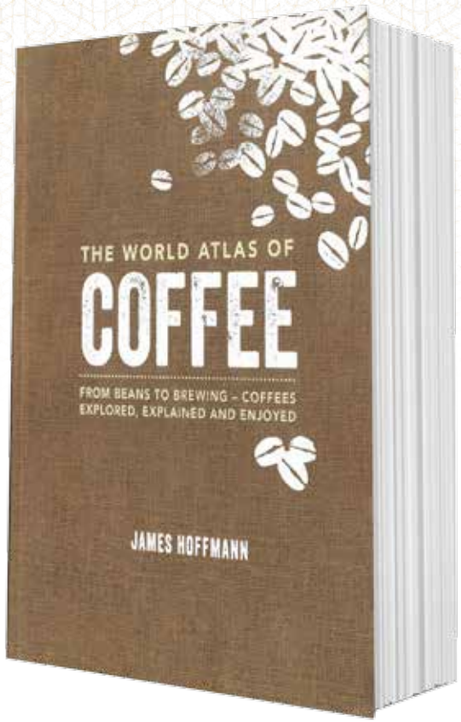


كلمـا تعمقوا أكثر في البحث في هذا المجـال. يوجـد الآن المزيـد والمزيد مـن المقاهـي التـي تبيـع القهـوة الجيدة، باسـتخدام أفضل المعدات، وتدريـب موظفيهـا بشـكل أكثـر فعالية. ويدعـي عديدون أن العصر الذهبـي للقهـوة كان في الماضـي، لكننـي أعتقـد اعتقاداً راسـخاً بأن القهـوة لم تصل بعـد إلى ذروتها في الجـودة؛ لذا فـإن هـذا الوقت يعد بالمزيـد مـن الازدهار.

تتعـدد الخيارات والأنواع الآن، حتى أصبـح المسـتهلكون يهتمـون أكثـر باختيـار نـوع قهوتهـم، والتدقيـق علـى جودتهـا، ممـا دفـع منتجـي القهـوة إلـى التطويـر المسـتمر، بحيث تصبح أكثـر قدرة على جذب أسـواق جديدة، من خـلال التنافس في الجـودة؛ لضمـان الحصـول علـى المـذاق الأطيـب. فلقـد كانت ومازالـت القهـوة عنصراً أساسـياً في حيـاة الشـعوب لمئـات السـنين، ولكـن لم يكـن هناك هـذا الكمّ من الاهتمـام قبـل، كمـا هـو الآن.

يعتمـد اليـوم أكثـر مـن 125 مليون شـخص في جميـع أنحـاء العالم في كسـب أرزاقهـم على إنتـاج القهوة؛ ولهـذا فـإن صناعـة القهوة تشـهد نمـواً هائـلاً ومسـتمراً في جميـع أنحاء العالم؛ لتلبية الطلب المسـتمر للأسـواق في كل جـزء مـن العالم.

يمكـن تقسـيم صناعة القهـوة إلى مجالـين متميزيـن: همـا السـلع والتخصـص. وفي هـذا الكتـاب سـوف نتعامل بشـكل أساسـي مع أنـواع القهـوة المميـزة، حيـث يتم

تحديـد أنـواع القهـوة مـن خلال جودتهـا ومذاقهـا الجيـد. الأصل مهـم أيضـاً؛ لأن هـذا غالبـاً مـا يحـدد مذاقهـم. الـبن السـلعي هـو المصطلـح المسـتخدم لوصف القهـوة التـي لا يتـم تداولهـا على أسـاس جودتهـا، ولكنهـا تعـدّ ببسـاطة «قهـوة»، فـلا يهـم مكان نموهـا، ولا وقـت حصادهـا، أو كيفيـة معالجتهـا وتحميصهـا.

حـدّد الـبن السـلعي كيـف يـرى كثيـرون القهـوة، فهـو بشـكل عام منتـج من مكان اسـتوائي؛ وطريقة

فعّالـة، وإن كانـت مُـرة، لإدخـال الكافيـين إلـى مجـرى الـدم، وإنعاش الدمـاغ، ليكون متيقظاً في الصبـاح. فكرة أن المرء قد يشـرب القهـوة من أجل المتعة، للاسـتمتاع بمذاقهـا المر، لايزال لهـا وجودها الضئيل نسـبياً في الثقافة العالمية.

هناك العديد مـن الاختلافات بين الإنتـاج والتجـارة الدوليـة للقهوة المتخصصـة والـبن السـلعي؛ لأنها منتجـات مختلفـة تماماً.

يتيـح هـذا الكتـاب فرصـة لفتح البـاب، للكشـف عن شـيء عميق في هـذا المجـال، فلم يكـن هناك حتـى الآن كتاب يقـدم عمقاً كما ينبغـي عـن القهـوة، بمـا في ذلك خرائـط البلـدان المنتجـة، التـي يقدمهـا هـذا الكتـاب، وبالتالـي سـتجدونه بالفعـل موسـوعة شـاملة عـن القهـوة، ونأمـل أن يشـجع ذلـك علـى اسـتكشـاف المزيـد مـن القهـوة المنتجـة في جميـع أنحـاء العالـم، وإيجـاد طـرق جديدة للاسـتمتاع بالقهوة وبمذاقهـا القـوي.

**«أرابيكا» و«روبوستا»**

عنـد الحديث عـن القهوة، يشـير النـاس عادةً إلـى ثمرة نـوع معين مـن الأشـجار، وهـي «بـذور بـن أرابيـكا»، والتـي تشـكل معظـم القهـوة التي يتـم إنتاجها في العالم كل عـام، حيـث تزرع في عشـرات البلـدان، بـين مـداري الجـدي والسـرطان، ومـع ذلـك، فهـي ليسـت النوع الوحيد من القهوة في العالـم، ولكنـه الأكثر شـهرة، على الرغـم من أن هنـاك أكثر من 120 نوعاً مختلفاً يـزرع حتى الآن، لكن هنـاك نوعـاً واحـداً آخـر شـائعاً يزرع بـأي كمية، وهـو «كانيفورا»، وهـو نبات نشـير إليه عادةً باسـم «روبوستا».

«روبوستا» تم اكتشافه في الكونغو البلجيكية (ما يعرف الآن بزائير) في أواخر القرن التاسع عشر، وكانت إمكاناته التجارية واضحة، وتتميز بقدرتها على النمو والإثمار على ارتفاعات أقل من نباتات أرابيكا الموجودة، وفي درجات حرارة أعلى، وكانت أكثر مقاومة للأمراض، وهذه هي الصفات التي لاتزال تدفع كثيرين لتفضيل روبوستا حتى اليوم، وبسبب الطريقة التي يزرع بها، يصبح إنتاجه أرخص بكثير. ومع ذلك، هناك جانب سلبي لا مفر منه، وهو أن طعمه ليس جيداً. يجادل بعضهم بأن قهوة روبوستا جيدة الإنتاج، ويمكن أن يكون مذاقها أفضل من قهوة أرابيكا ذات الجودة الأقل، وقد يكون هذا صحيحاً، لكن هذا لا يقنعنا بأن طعم روبوستا لذيذ بالفعل. من الصعب عموماً أن تنسب مذاقات معينة إلى القهوة، لكنني أعتقد أنه سيكون من العدل أن نقول إن روبوستا تتمتع بطعم خشبي ورائحة مطاط محترق في الكوب، وعادة ما تكون قليلة الحموضة، ولكن قوامها ثقيلاً ومُحسوساً بالفم. هناك بالطبع درجات جودة لروبوستا، ومن الممكن إنتاج روبوستا عالية الجودة، والتي كانت عنصراً أساسياً في ثقافة الإسبريسو الإيطالية لسنوات عديدة، ولكن حالياً ينتهي المطاف بمعظم أنواع روبوستا المنتجة في جميع أنحاء العالم في مصانع تصنيع كبيرة متجهة إلى أن تصبح منبوذة في صناعتنا: وهي القهوة سريعة الذوبان.

**أصول القهوة**

ظلت صناعة القهوة تنظر إلى الروبوستا كأخت قبيحة لأرابيكا، حتى تم اكتشاف جيني مثير للاهتمام، بمجرد أن بدأ العلماء في تتبع تسلسل الجينات، أصبح من الواضح أن النوعين ليسا أبناء عمومة أو أشقاء، ولكن بدلاً من ذلك، يبدو أن روبوستا هو في الواقع أحد الوالدين لأرابيكا. على الأرجح في مكان ما في جنوب السودان، تزوج روبوستا مع نوع آخر يسمى أوجينويديس، وأنتج نوعاً جديداً هو أرابيكا، والذي أخذ في الانتشار لجودته العالية، وبدأ حقاً في الازدهار في إثيوبيا، التي لطالما عدّت مهد القهوة.

الطريقة التي انتشرت بها القهوة حول العالم تعني أن لدينا محصولاً عالمياً له أصل مشترك، نعم هناك اختلاف بسيط في التركيب الجيني لنباتات البن، وهذا يعرض إنتاج البن العالمي لمخاطر هائلة، فإذا تعرض نوع منها مثلاً لمرض ما، فمن المحتمل أن يصيبها جميعاً، مثلما حدث عندما هاجمت حشرة ما مساحات شاسعة من كروم العنب في جميع أنحاء أوروبا في ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر.

**إفريقيا**

في حين أن إثيوبيا معروفة عموماً بأنها مسقط رأس القهوة، إلا أن محاصيل البن الكبيرة تزرع أيضاً في وسط وشرق إفريقيا، حيث توجد أسواق كبيرة لتصدير حبوب البن من كينيا وبوروندي وملاوي ورواندا وتنزانيا وزامبيا. لكل دولة تقنياتها وأصنافها الخاصة، مما يخلق مجموعة متنوعة من المشترين.

**آسيا**

شكلت الأسطورة والتاريخ كيف نشأت زراعة البن في آسيا، ولكن الحقيقة هي أنها بدأت من حبوب قهوة روبوستا، التي تم تهريبها إلى الهند من اليمن من قبل أحد الحجاج، خلال القرن السادس عشر. توفّر آسيا الآن نسبة كبيرة من القهوة ذات الجودة السلعية إلى السوق العالمي، وربما يكون اليمن هو الاستثناء الملحوظ في آسيا حتى الآن، حيث تظل كميات الصادرات الصغيرة نسبياً من اليمن هي من الحبوب الفريدة المطلوبة بشدة على مستوى العالم.

**أمريكا**

تزوّد الأمريكتان معظم إنتاج حبوب البن في العالم، ولكن يختلف نطاق ونوعية صادرات الحبوب بشكل كبير. وعلى الرغم من أن المحاصيل البرازيلية تشكل تقريباً ثلث سوق البن العالمي، إلا أن هناك اهتماماً متزايداً بأنواع غير عادية من صغار المزارعين، مثل نوعية «جيشا» المنتجة في بنما. ساعدت أيضاً السياحة البيئية، والوعي بأساليب الزراعة المستدامة والتعاونية، على تغيير طرق زراعة البن وتنوعها في جميع أنحاء الأمريكتين؛ من أجل الحصول على محاصيل أوفر وجودة منافسة.

# آداب صبّ القهوة في الإمارات

يتناول هذا الكتاب آداب صب القهوة التي تعارف عليها الناس، ورغم تنوّع بيئاتهم في الدولة، إلا أنها كثيراً ما تتوافق على كثير من هذه الآداب، وإن اختلفت في بعض الأمور فهي يسيرة، وقد يظن الشخص أن مجرد حمل الفناجين ودلة القهوة، فهذا كل شيء بالنسبة إليه، من دون مراعاة الأسلوب والطريقة والفن والذوق.

يوضح المؤلف عبدالله خلفان الهامور كيف كان أسلافنا يتبعون الذوق السليم، والفن الرائد في التواصل فيما بينهم، عن طريق صب القهوة، وتقديمها إلى بعضهم بعضاً، مع أن صبّ القهوة بحدّ ذاته ما هو إلا إكرام للضيف الزائر، والصديق والقريب.

**آداب حامل الدلة**

وهو (المغنم) أو (راعي الدلة) أو (الصبيب) أو (المقهوي)؛ أي الشخص الذي يصب القهوة، وهذه كلها تسميات وألقاب تطلق على الشخص الذي يمسك الدلة، ويبادر بصب القهوة للضيوف، وعادة ما يكون هذا (الصبيب) من أصحاب البيت، فإما أن يكون الأب في حالة غياب الأبناء عن البيت، أو أحد الأبناء، أو من الأقارب، ولراعي الدلة آداب، لابد أن يتحلّى بها، كما أكد المؤلف، وقد أحصاها في 44 أدباً، منها: أن يكون عند صبه القهوة حافي القدمين، وواقفاً، وأن يكون مظهره الخارجي حسناً، وأن يكون موقعه في أول المجلس قرب الباب، وأن يشرب الفنجان الأول ويجربه، وأن يتأكد من سلامة الفناجين قبل تقديم القهوة، وأن يمسك مقبض الدلة من الوسط، وإصبعه الإبهام أعلى المقبض، وأن يرفع الدلة عن الأرض بطريقة هادئة، وأن يبدأ بصب القهوة من اليمين، وأن يمسك الدلة باليد اليسرى، والفناجين باليد اليمنى، وأن يكون عدد الفناجين التي يحملها بيده ثلاثة فقط، وإذا كان في المجلس رجل ذو وجاهة يبدأ به، بأن يقف أمام الضيف على بعد ثلاث خطوات، وأن ينحني إلى الأمام قليلاً، مع تقديم الرِّجل اليمنى عند تقديم الفنجان، وأن ينبه الضيف بكلمة (تفضل).

ثم انتقل بنا المؤلف إلى الفصل الثاني من الكتاب، والذي يتحدث عن واجبات الضيف (الأدب الذي يجب أن يتحلّى به الضيف أثناء





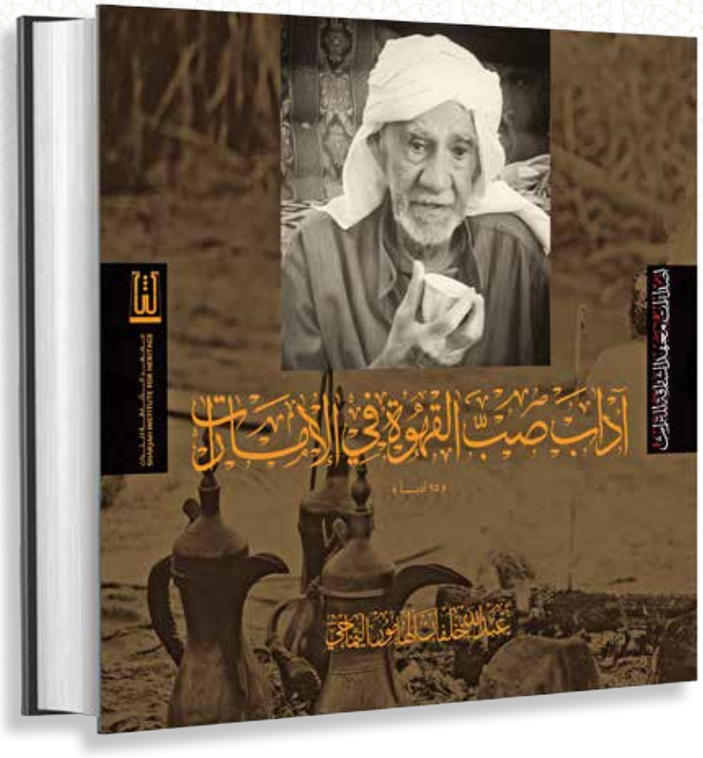


شربه القهوة)، موضحاً أنها اثنان وعشرون أدباً، لابد أن يلتزمها الضيف عند شربه القهوة، ومنها: أن يقبل على صاحب الدلة بصدره ووجهه عند أخذه الفنجان، وأن يتسلّم الفنجان بثلاث أصابع، وألّا يشرب أكثر من ثلاثة فناجين، وأقل ما يشربه فنجانان، ولا يصح له ترك شيء من القهوة داخل الفنجان، وألّا ينفخ في الفنجان ليبرّد القهوة.

ويحتوي الفصل الثالث من الكتاب على الآداب العامة في شأن القهوة والدلة والفناجين، حيث يوضح المؤلف أن تكون الدلة والفناجين على درجة كبيرة من النظافة، وألّا تقدّم القهوة فاترة أو محمومة، ولا يصب في الفنجان (المشلوم)، وأن تكون الفناجين ذات حجم واحد، ويمنع وضع الفناجين في صينية يطاف بها على الضيوف، وتوضع الفناجين في طاسة فيها ماء إلى نصفها، أو أقل بقليل، وعند وصول ضيف جديد تصنع له قهوة جديدة.

واحتوى الفصل الرابع من الكتاب على آداب صب القهوة عند أفراد العائلة والأصدقاء، موضحاً أنه أقل درجة من الأدب المعمول به في المجالس من ناحية قوتها، والالتزام بها، والتسامح الذي يسود بينهم.

# أدوات إعداد القهوة قديماً

كانت القهوة في الماضي رفيق العرب الدائم، وزوّادتهم التي لا تفارق مجالسهم، أو رحلات تنقلهم لطلب الرزق والصيد، كذلك هي الحال بالنسبة إلى البيت الإماراتي، الذي اشتهر بصناعة القهوة يدوياً، على الجمر بوساطة أدوات قديمة، لتخرج القهوة برائحة البن المطعم بالهيل والزعفران.

تتعدد أدوات إعداد القهوة طبقاً لمراحلها المتتالية، نستعرض هنا أبرز تلك الأدوات القديمة التي يتم تصنيعها من مختلف المواد.

**تحضير القهوة:**

التحميص هو أولى خطوات تحضير القهوة، التي تأتي على شكل حبيبات صغيرة، لا طعم لها ولا رائحة قبل التحميص. والتحميص هو وضع حبات البن في «محماس» لتتحمص، ويتم تقليبها باستمرار؛ كي يتم تحميص كل الحبيبات، حتى يتغير لونها إلى البني الداكن أو الأشقر، حسب الطلب. والمحماسة صحنها دائري مقعر، متصل بمقبض يبلغ طوله نحو 70 سنتيماً.

والمرحلة التالية هي دق حبيبات البن المحمصة بـ«الهاون»، وهو إناء مصنوع من الحديد الصلب، دائري الشكل، وبعمق 13 سنتيماً، وقطر 12 سنتيماً. وسمك جداره نحو 5 ملم.

وتستخدم يد «الهاون» لدق تلك الحبيبات لتصبح ناعمة، ويبلغ طولها نحو 23 سنتيماً، وبسمك نحو خمسة سنتيمترات. وفي بعض الأحيان تستخدم يدا هاون لدق حبيبات البن بإيقاع ونغمات موسيقية. وبين الحين والآخر يُقلب الهاون إلى جنب لضمان تقليب البن. وبعض أنواع (الهاون) يأتي من النحاس، لكنه أصغر حجماً.

وبعد التحميص والطحن يتم طبخها حتى درجة الغليان، وتكون تحت مراقبة «المقهوي» (صانع القهوة)، الذي يحرّكها بين حين وآخر، ولا يتوقف عن تقليبها حتى فترة الغليان، ومن ثم توضع في أوانٍ نحاسية، يطلق عليها «دلال»، ومفردها دلة، والدلال تأتي في مقاسات عديدة.

**أنواع الدلال:**

الدلال الكبيرة التي توضع على الجمر؛ لتبقى القهوة ساخنة، ومنها تصب في دلال الصب للضيوف، وهي صغيرة، وخفيفة الوزن، وهي أنواع، منها دلة الرسلان والدلة القريشية، والدلة الحساوية، والدلة العراقية، وهي تختلف في تصميمها عن الدلال الشامية.

وتمتاز هذه الدلال بزخارف هندسية وخطوط متوازية، ويحرص الصانع على وضع «برشوم» في مصبها. واشتهرت البحرين بصناعة الدلال، وكانت لها سوق (سوق الصفافير) التي تصدر الدلال إلى جميع دول الخليج العربي، وصنّاع الصفافير كانت لهم لغتهم الخاصة فيما بينهم .

ودلال القهوة تأتي في ثلاثة أحجام، لكل منها له استخداماته:

الدلة الكبرى تستخدم لـ«الثوة»، وهي للقهوة المعاد غليها، أو جعلها ساخنة لوقت غرف القهوة منها، ولابد من مراعاة تجديد الخمرة، والتخلص من الحثالة (الحثل)، وهي البقايا التي قد فقدت مزاياها، وهذه التسمية قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام، حين كانت الخمرة متداولة. ومن هنا يطلق على الشخص الدوني: الحثالة (حثالة المجتمع).

الدلة المتوسطة في الحجم، وهي لغلي القهوة البكر، ويحرص على أن تأخذ القهوة نصيبها من التخدير، وهو غلي القهوة على نار هادئة، وذلك بترك الدلة على جنب النار في «المنقلة»، وهي موقد يحتوي على كمية من الجمر. ومنها تصب القهوة في الدلة الصغيرة التي تقدم فيها القهوة للضيوف لسهولة حملها، وما بها من قهوة. وبها تضاف كمية من الهيل والزعفران، ويراعى وضع قليل من ليف النخيل في المصب؛ لمنع نزول حثالة القهوة، وعدم نزول الهيل مع القهوة في الفنجان.

**الفناجيل:**

الفناجيل، وهي جمع فنجال، وكذلك يطلق عليها «فنجان»، وهي كلمة فارسية الأصل. والفناجين أكواب صغيرة، وتأتي في مقاسات مختلفة، وبألوان، وتزين من الخارج بزخارف جذابة، وهي مصنوعة من الخزف، لكن هذه الفناجين لم تكن معروفة حين اكتشاف القهوة، فقد كانت تشرب في أقداح صغيرة، تستخدم لشرب الخمور في الكنائس ومجالس الطرب، ومن هنا أطلق على القهوة «خمرة العباد»، لكونها تسهرهم، وتشرب في كؤوس الخمور نفسها.

وحين جاء الإسلام، وحرّم استخدام أقداح الخمرة في شرب القهوة، تم استعمال (الفناجين) كأكواب خاصة بالقهوة، لما لها من مكانة مقدسة تمثل الكرم العربي، وحجم الفنجان وكبره يدلان على سعة الرزق وكرم الضيافة.

وكمية القهوة التي تصب في الفنجان هي أقل من منتصف الفنجان؛ لتشويق الشارب لفنجان آخر، وزيادة كمية القهوة في الفنجان تعني الرغبة في التخلص من الضيف. أما في حالة الغواصين أيام الغوص، فكانت الكمية أكثر من نصف الفنجان أثناء الفطور الذي يتكوّن من حبات التمر، وعدد قليل من فناجين القهوة، ولهذا يكون الفنجان راهياً بالقهوة، لتزويد الغواص بالطاقة اللازمة لتمكينه من الغوص.

# «القهوة» تراث إنساني

تمتد جذور تقاليد القهوة العربية في نسيج مجتمع الصحراء، من خلال أدواتها وطقوسها، وباتت مرادفاً للكرم والضيافة والقيم الأصيلة؛ لذلك تقدمت دولة الإمارات، بالتعاون مع دول عربية، لتسجيل القهوة العربية في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي لليونسكو.

وخلال اجتماع اليونسكو العاشر، الذي أقيم بالعاصمة الناميبية ويندهوك، في الفترة من 29 نوفمبر إلى 4 ديسمبر 2015، بحضور ممثلين عن 175 دولة، أقرّت اللجنة الحكومية لصون التراث الثقافي غير المادي باليونسكو تسجيل القهوة.

وأفرد لها موقع المنظمة صفحة، تحدث فيها عن مزاياها، فقال: «إن تقديم القهوة يعدّ أحد الجوانب المهمة من حسن الضيافة في المجتمعات العربية، ورمزاً للكرم. ويجري إعداد القهوة تقليدياً أمام الضيوف. وتبدأ العملية باختيار حبوب القهوة، ومن ثم تحميصها تحميصاً خفيفاً على النار في مقلاة ليست عميقة، وتوضع القهوة بعد ذلك في هاون نحاسي، وتُدقّ بمدق نحاسي. ثم توضع القهوة المطحونة على النار في دلّة نحاسية كبيرة، ويضاف إليها الماء. وبعد أن يكتمل تخميرها تسكب في فناجين صغيرة. وتقدم القهوة أولاً للضيف الأكثر أهمية، أو الأكبر سناً. وتسكب بمقدار ربع الفنجان، ويعاد السكب عند الطلب. والممارسة الشائعة هي شرب فنجان واحد على الأقل، على ألا يزيد العدد على ثلاثة فناجين. ويشرب القهوة العربية الرجال والنساء من جميع شرائح المجتمع، ولا سيما في المنزل».

وأضاف موقع اليونسكو يعدّ الشيوخ ورؤساء القبائل هم من يقدمون القهوة في مجالسهم، والبدو من الرجال والنساء الكبار في السنّ، وأصحاب المتاجر المتخصّصة في بيع القهوة حمَلة هذا التراث، والأمناء على استمراره. وتُنقل المعارف والتقاليد الخاصة بالقهوة العربية في إطار العائلة، وتُكتسب من خلال المراقبة والممارسة. ويتعلم الشباب كيفية اختيار أفضل حبوب القهوة، من خلال مرافقة الكبار إلى السوق.

# «الشارقة للتراث» يحتفي باليوم العالمي للقهوة

نظّم معهد الشارقة للتراث (افتراضياً)، عبر منصاته على وسائل التواصل الاجتماعي، فعالية بمناسبة يوم القهوة العالمي، الذي يصادف الأول من أكتوبر من كل عام، بمشاركة فروع المعهد في كل من: كلباء والذيد وخورفكان ودبا الحصن.

وقال د. عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، إن للقهوة مكانة مميزة في المجتمع الإماراتي عبر التاريخ، ومازالت هذه المكانة المرموقة حاضرة حتى اليوم، فهي عنوان للكرم والضيافة، وتقدم وفق أصول وآداب وطقوس وعادات وأساليب، تتجلى فيها مكانتها محلياً، وكذلك هو حال مكانتها في المجتمع العربي، وهي حاضرة في كل حضارات العالم وثقافاته، بما يشكل مشتركاً تراثياً مهماً، تلتقي تحت مظلته مختلف ثقافات شعوب العالم.





وأشار إلى أن هناك آداباً وأصولاً للقهوة، وكيفية التعامل معها، وصنعها، وتقديمها للضيوف والحضور، إضافة إلى تجلياتها في الشعر النبطي الإماراتي، وكيف تغنّى الشاعر الإماراتي بالقهوة عبر التاريخ.

وتضمّنت الفعالية عرض فيديوهات حول القهوة، تم التحدث فيها عن مكانتها في المجتمع الإماراتي عبر التاريخ، وقال د. منّي بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر في المعهد، إن القهوة رمز الكرم، وحسن الضيافة عند العرب قديماً، ولا يكاد بيت واحد يخلو منها، فقد ارتبطت بالعرب في حلّهم وترحالهم، وهي أشهر مشروب في العالم على الإطلاق، وأول من تعرف إلى القهوة هو الفقيه الصوفي أبوالحسن علي بن أحمد علي بن عمر الشاذلي، المتوفى سنة 1418، والعالم جمال الدين بن عبدالله الظنحاني اليماني، الذي نقلها معه من اليمن إلى مكة في عام 1450، حاملاً معه ثمار البن؛ لاستخدامه الشخصي، وهكذا انتشرت تدريجياً في العالم من اليمن. وأضاف: ظهرت طقوس وآداب في شربها، ومن ثم أوجدت ظاهرة المقاهي التي انتشرت في أوروبا، ومن ثم في العالم العربي، وفي ديسمبر من عام 2015، أدرجت «اليونسكو» القهوة العربية على القائمة التمثيلية للتراث غير المادي، من خلال ملف مشترك، تقدمت به دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان، فأصبحت ضمن التراث الإنساني للشعوب.

وقال د. سعيد الحداد، مدير فرع معهد الشارقة للتراث بمدينة كلباء، إن القهوة لا تشرب ولا تصب فحسب، بل لها حكايات وقصص كثيرة، أشهرها قهوة الفجر التي لها قصة تبدأ مع صوت صياح الديك، كما كان في الماضي، عندما كان يسمع أهالي الفريج صوت مدق القهوة في البيوت، يعرفون على الفور أنهم بدؤوا بتحضيرها، أما قهوة المساء، فلها قصص كثيرة، فهي تحضر عبر الهيل والزعفران وماء الورد، وغيرها من الملطفات التي تضاف إليها، وتمنحها مذاقاً مميزاً. وأضاف: بالنسبة إلى آداب تقديم القهوة، فلها أصول وسَنع محدد في التقديم، وفقاً للعادات والتقاليد، التي تعبر عن روح الأصالة والتراث، فإذا كان هناك 3 أنواع من الدلال، أو 10، لابد أن تمر كلها على الضيوف في مجلس الرجال، أو النساء، وفيما يتصل بطريقة التحضير، أوضح أنها تختلف بحسب الموقع الجغرافي، فأهالي الساحل الشرقي يفضلون تحضيرها ثقيلة، إضافة إلى أن دقّ القهوة كان يتم في «المنحاس»، فكانت النساء يقمن بدق البن بنغمات متوالية، تميز كل ربة منزل عن الأخرى، كأنها سيمفونية موسيقية تصدر عن بيوت الفريج.

# القهوة
## صناعة من القيم والمعاني

مريم سلطان المزروعي
كاتبة – الإمارات

**يا ما حلا الفنجان مع سيحة البال ... في مجلس ما فيه نفس ثقيله**
**هـذا ولـد عـم وهـذا ولـد خـال ... وهـذا رفيـق ما لقينا مثيله**

تعـدّ القهـوة كجـزء مـن تقاليـد الضيافـة، وترتبط بالكرم وحسـن اسـتقبال الضيـف في منطقة الخليج العربـي، ولاسـيما في دولة الإمـارات العربية المتحدة والقهـوة لهـا عـادات وتقاليـد، وقـد حثّ عليهـا الإسـلام لما لها مـن احترام للضيـف، وتقديم القهوة يعـدّ جزءاً من هـذه العادات، وهي تقديـر كبير، وله مكـانـــة لا تـوازن بثمن، فهي ذات قيمـة ورمـز، وهي المشـروب الأساسي في حياة الأجـداد والآباء،

وقـد كانت تسـتخدم كـدواء لمعالجـة بعض الأمـراض في القديم، يقول الشـاعر صقار الكبيسـي في أبياته المشهورة:

**ترى الخوي والضيف والثالث الجار**
**مثل العمل ما بين فرض (ن) وسنا**

وعنـد صـبّ القهـوة لابـد أن تقـدم أولاً للضيف، ولا أحـد قبلـه، وصاحـب البيت هو مـن يقوم بالإشـارة للـذي يصـبّ القهـوة، خاصـة إذا كان المقهـوي أو القهوجـي أو السـاقي لا يعـرف مـن الضيـف، حتـى يفهـم، وعندمـا يكتفي الضيف من شـرب القهوة، يهزّ الفنجـان، وهـذا دلالة بمعنى كفـى. وكان الذي يصب القهـوة قديمـاً، لابـد أن يكون أصم حتى لا يسـمع ما يقـال بـين الشـيخ وضيوفه، فيهـز الفنجـان، ويعرف أنـه اكتفى، وتـوارث الناس هـذه العـادة كعلامة على الاكتفـاء، وأصبحـت أدبـاً مـن آداب القهـوة العربية، كمـا مـن العيب تقـديم القهـوة باليد اليسـرى، أو أن يمـلأ فنجـان القهـوة أكثر عـن المنتصف.

وعنـد الحديـث مع السـيد/ عبـدالله خلفان سـعيد الشامسـي – مقهـوي الشـيخ زايـد بـن سـلطان آل نهيـان، الذي بـدأ العمل سـنة 1959م، قـال: «القهوة التـي يحبها الشـيخ زايد – رحمـه الله – لابد أن تعّد علـى نـار هادئـة، تقلـى وتحمس جيـداً، وكانـت لها رائحـة زكيـة، والمـاء المسـتخدم في إعدادهـا كان يتم إحضـاره مـن منطقـة الثقيبة مـن فلج الصـاروج في مدينـة العين، والشـيخ زايـد كان يحـب القهوة لا هي بالثقيلـة ولا هي بالخفيفـة، وتحتوي علـى الزعفران ومـاء الورد، وتصب القهوة في الدلـة الأولى ثم الثانية فالثالثـة والرابعـة هـي التـي الدلـة الخاصـة التـي تقـدم للشـيخ زايد وضيوفـه، وقبل إعدادهـا لابد أن ينظـف البـن وينقّى من الأوسـاخ والغبار والشـوائب، ويسـتخرج منـه القشـور، وعنـد قلي البن تفـوح تلك الرائحـة الزكيـة، وتبدأ بالانتشـار، فأشـعر بها، وقد وصلـت إلى قمة رأسـي مـن رائحتها النفّـاذة، ودائماً القهـوة كانـت تقـدم للضيف مـع تمر خـلاص، ويتم إعداد أربـع دلال، اثنتين للضيـوف في البرزة، واثنتين

توضعـان في المجلـس الخاص بالشـيخ زايد، كنت أدخل عند الشـيخ زايـد وضيفه وأصـبّ القهوة، ولا أسـمع ما يقـال، كما أن الشـيخ زايد لا يحب أي إضافـات علـى القهـوة كالقنـاد (الهيـل) أو المسـمار (القرنفـل)، وكنا نذهب مع الشـيخ زايد في جميـع سـفراته وزياراته، سـواء داخـل البلاد أو خارجهـا، كما كان يسـتيقظ في الصباح الباكر بعد صـلاة الفجر، تكون القهـوة جاهزة، ويجلس تحت ظل شـجرة السـمر، كان بشوشـاً ومبتسماً للحيـاة، وبقربـه دلته والخضرة تحيـط به من كل صوب».

ويقـال إن القهـوة تنقسـم إلـى أربعـة فناجين أو خمسـة فناجـين، وتُقْلَـب النـون إلـى لام نطقـاً، وكلٌّ لـه دلالتـه، وهـذا مـا أكـده السـيد/ زايـد محمـد المزروعـي بقولـه: «هناك فنجـال للهيف والضيـف وللكيـف والسـيف والفـارس، وهـؤلاء صـورة للكـرم والشـهامة وإغاثـة الملهـوف، فنجـال (الهيف) يشـربه المضيـف، والغرض منه عـدم إيـذاء الضيـف بالطعـم السـيئ إذا لم يتم إعدادهـا بطريقـة صحيحـة، ولإعطـاء الضيف الثقـة بالمضيـف، وفنجال (الضيـف)، وهو عنوان الكـرم إذا شـربه الضيـف، فهذا يعنـي لا حاجة لديـه عنـد المضيـف، لكـن إذا لم يشـربه فهناك غـرض أو حاجة لابـد أن ينفذهـا المضيف؛ حتى لا تقـع المذمـة على صاحـب البيت، ويهـان ويقع في الملامـة، وفنجال (السـيف) هـذا ثالث فنجال





يشـربه الضيـف، ويعتمـد على مـزاج الضيـف، وإذا شـربه فدليـل علـى معاونـة الضيـف للمضيـف في السـراء والضـراء، وإنـه عقـد صلحـاً معـه، وهناك ما يُسـمى بفنجال (الفـارس)، وهـذا كان موجوداً في الماضـي، ولكنـه انقـرض، يقوم المضيـف برفع فنجال بقولـه هـذا فنجال فلان؛ أي الشـخص الذي يشـربه لابـد أن يقـوم بقتل هذا الإنسـان، أو يأخذ حقه منه، وإذا لـم يقم بما تعهد به، فالأفضـل ألا يرجع للقبيلة، ويعـدّ ميتـاً، وهذا عـار عليـه، فلابـد أن يختفي عن الأنظار».

ويذكر راشـد بخيـت المزروعي: كانت أصـوات المنحاز (الهـاون) تختـرق هـدوء الصبـاح، فقـد كان الأهالي يسـتيقظون في الصبـاح الباكر فيعـدون القهوة، تقوم المـرأة بطحـن القهـوة بعـد تحميصهـا في المحماسـة (التـاوة) الحديديـة، باسـتخدام المحمـاس (قطعـة طويلـة مـن الحديـد أو النحـاس)، ويقـال في الأمثال الشـعبية: «القهـوة مـوب مـن صبيبهـا، مـن قليها»، وإذا احترقـت فإنهـا لا تصلـح، وإذا لـم تنضـج فإنها لا تصلـح أيضـاً، ودائماً تقدم القهـوة في المزلة، وهذا نـوع من أنواع الدلال، وإذا قـدِم ضيف، فلابد أن تعد لـه قهـوة جديدة، ويتـم إعدادهـا أمامه.

وتغنّـى الشـعراء بالقهـوة لما تثيـره من شـجون، فهي ترتبـط بالذكريـات الجميلـة، وقصـص العشـاق، مع شـروق الشـمس أو غروبها، فهـي معشـوقة البدوي، تذكّـره بحبيبتـه، يقـول الشـيخ زايـد بن سـلطان آل نهيان – رحمه الله:

**يا محتوي حسنات لخصال**

**أطبـاع وأسـلوك لطيفـه**

**قـم سو لي م البن فنيـال**

**وضيف الذي تبغي تضيفه**

**يا نـور عينـي مالك أمثال**

**ولا لي أنـا دونك نكيفـه**

**روياك تفرج ضيقة البال**

**وبسمـة ثناياك الخفيفـة**

وقصيـدة الشـاعر محمـد حمد بـن سـهيل الكتبي – رحمـه الله – التـي غنّاهـا المطرب أصيـل أبوبكر:

**جيت لك بالشوق قصادي**

**صب لي يا مزعفر الدلة**

**فيك ألاقي جوي الهادي**

**يا هوى قلبي ويا خله**

# الشاعر سعيد المطيوعي
## شاعر حتّا

عتيج القبيسي
شاعر وباحث تراثي

ولد شاعرنا سعيد بن خلفان المطيوعي البدواوي في قرية حتّا، التابعة لإمارة دبي، في عام 1940، وقرية حتّا تعدّ قرية تاريخيّة أثريّة، أصبحت الآن منطقة جذب سياحي، لما فيها من طبيعة خلّابة ومناطق أثريّة أهمّها القلاع القديمة، وتتمتّع حتّا أيضاً بالمناظر الطبيعيّة من وديان وجبال ومزارع نخيل، ترسم من خلالها العديد من اللوحات الجميلة الداعية للراحة والهدوء والسكينة.

ينتمي شاعرنا إلى قبيلة البدوات، وهي قبيلة عربيّة تمتد جذورها إلى مئات السنين في ذلك المكان، ويرجع نسب شاعرنا إلى عائلة (المطاوعة)، وهم طائفة يغلب عليهم عنصر التديّن، ويجيدون التداوي بالقرآن، وعلاج لدغات الأفاعي والعقارب، وتوجد مثل هذه الطائفة في كل قبيلة تقريباً، منهم من يسمّون (المطيوعي)، ومنهم من يسمّون (المطوّع).

تزوّج شاعرنا في الستينيات، وخلّف كلّاً من (علي، ومحمّد، وحمد، وسلطان، وعمر، وعبدالله، وخلفان)، وأكمل شاعرنا تعليمه في أحد مراكز تعليم الكبار حتّى المرحلة الإعداديّة، وكان ذكيّاً ونبيهاً جدّاً، وهذا ما ساعده على قراءة مختلف الكتب، وأهمّها كتب الشعر، ما أسهم في صقل موهبته الشعريّة التي بدأت معه من الصغر.

كانت وفاة شاعرنا - رحمة الله عليه - في عام 2002، إثر أزمة قلبيّة، مخلّفاً إرثاً عزيزاً من الشعر النبطي الجميل، تنوّعت أغراضه بين الغزل، والمدح، والرثاء، والوطنيات، والحكم، والمحاورات، وغيرها من أغرض الشعر النبطي، نعرض منها قصيدة (شرتا النسايم) التي قالها في القهوة، وهي تعدّ رمز الكرم عند العرب، فيقول فيها:





يا حامسين البن، للبن تكييف ... على الجمر إذا تبوا تحمِسونه
حرّك على المحماس نسفه نتسّيف ... بالتاد حمسونه ولا تحرقونه
وخمّر له الدلّه بكيفٍ وتصريف ... قايس وعاير بنّها في وزونه
واجلس وصفّاها عن تثور وتزيف ... وابعد عن الميهال قربه ودونه
بتحيز وصف الِ صَنَّف البن تصنيف ... دم الغزال اللي العرب يوصفونه
يحلى لها ذوقٍ، والَذ المراشيف ... غالي الثمن عند الذي يعرفونه
وخلاف جدّمها على الضيف تشريف ... وكبار سن العائله ينشدونه
علم وخبر فيها، وسنّه وتسوليف ... تراث ماضي اجدادنا يذكرونه
فنجان يكفي عن ثلاثة مراديف ... مع جاذي البرّي يداعب غصونه
وين المهايا راتعات ومواليف ... مع خايعٍ مبعد ولا يقفرونه
وتذوق من دَرّ البكار المخاليف ... يللي لبنهن بالشفا ينعتونه
في جو معتم لاقحاته مذاريف ... يودٍ يسير ويود تهمل مزونه
واصَفّي الفنجان واعشق هوى الريف ... ويطيب لي نظم القوافي لحونه
صلاة ربي نزّلت دون تحريف ... على النبي والآل لي يتبعونه

كانت هذه قصيدة شرتا النسايم، نموذجاً واحداً من أغراض الشعر التي تناولها شاعرنا، يحكي فيها علاقة البدوي، أو العربي بشكل عام، مع القهوة، ويصف طريقة تحضيرها وإعدادها وتقديمها، فهي طقوس متّبعة عند صنعها، فأطيب القهوة تلك المحموسة على الجمر، ومحموسة تعني محمّصة، والمحماس هو الأداة التي تحرّك بها حبّات البن أثناء التحميص، وقال (بالتاد حمسونه ولا تحرقونه)؛ أي قوموا بتحميصه بهدوء لئلّا يحترق، بالتاد أصلها بالتؤدة، وتعني التأنّي والرزانة، وقوله خمّر له الدلّه، فالدلّة هي الوعاء الإبريقي الذي توضع فيه القهوة، وخمّر يعني جهّز الدلّة على الناس، واضبط قياس البن مع الماء وراقبها حتّى لا تثور وينسكب ما فيها، فيختل توازن المكوّنات فيها، وبعد أن تجهزها قدّمها للضيف، (وخلاف) معناها فيما بعد، أو بعد ذلك، ثم قدّمها لكبار العائلة؛ لأنهم ينتظرونها ليبدؤوا بها يومهم، ويصف المكان الذي هم فيه، حيث نسائم الهواء العليل تداعب أغصان الأشجار، حيث ترتع غزلان المها مجتمعة، وحليب الإبل يدور بين الحاضرين، يرتشفون منه ويعدّونه غذاءً ودواءً، فهو موصوف بهذا منذ القدم، ويصف الشاعر حالة الطقس في ذلك الصباح، حيث الغيوم تحجب الشمس، بعضها سائر، والآخر ممطر، في منظرٍ يكاد يبين من خلال أبيات القصيدة، يرسم لنا الشاعر هذه اللوحة الجميلة بالكلمات لا بالريشة، فأبدع قولاً ورسماً.

كان هذا شاعرنا سعيد المطيوعي البدواوي شاعر حتّا.

# أسواق الشارقة القديمة

## الجزء الأول

علي العَبْـدان
شاعر وتشكيلي وباحث تراثي
الإمارات

تتمتـع إمـارة الشـارقة بموقـع متوسـط بـين بقية الإمـارات، ما هيّأها لتبـوّؤ مكانـة اقتصادية مهمّة في الماضـي والحاضـر، ولا أدلّ على ذلك في الماضي مـن تفـرّع سـوقها الرئيـس القـديم، وتشـعّبه إلى أسـواق فرعيّة عدّة، لكلٍّ منهـا اختصاصه بمقياس ذلـك الزمـان، وكانـت تلـك الأسـواق مـن السّـعة والتمركـز، بحيـث اسـتغنى بهـا أهالـي المناطـق الأخـرى، التابعة للشـارقة، عن إقامة أسـواق كبيرة خاصـة بتلـك المناطـق، فـكان كلّ من سـكان الذيد والحمريّة والحيرة والفشـت وفريج الشـرق والخان والليّـة وغيرهـا مـن المناطـق التابعـة للشـارقة أو المحيطـة بهـا، يأتـون إلـى هـذه الأسـواق للبيع أو الشـراء أو قضاء وقت ممتع في لقـاء الناس، وأصل تلـك الأسـواق جميعـاً هـو سـوق العَرْصَـة، وهـو معـروفٌ إلـى اليوم بهـذا الاسـم، فما معنـى كلمة «عَرْصة»؟





جـاء في (مقاييـس اللغـة – ج 4/ 268)، لأحمد بـن فـارس، مـا نصّه: «ومـن البـاب – أي: مادة (عرص) – عَرْصة الدار، وهي وسـطها، والجمعُ عَرَصـات وعِراص، قـال جميل: ومـا يُبكيكَ من عَرَصـاتِ دارٍ ... تقـادَمَ عهدُهـا ودَنـا بلاهـا»، انتهـى كلام ابـن فـارس، وهـو يـدل علـى أن العرصـة هـي السـاحة الضيّقـة، وهـذا ينطبقُ على سـوق العرصـة الذي كان يُعـرف بـ(عرصة الصّخّـام)؛ أي: سـاحة بيـع الفحـم، وسـوق العرصـة قـديم، يمتـد تاريخ إنشـائه إلـى نحو مائتي سـنة تقريبـاً، ويذكر أحد كبار السـن من العاملـين فيه، أن هذا السـوق موجـود ومعروف منـذ أكثـر مـن قـرن ونصـف، وذلك نقـلاً عن الـرواة مـن التجـار السـابقين الذيـن كانـوا يحرصـون علـى عـدّ المُـدَد الزمنيـة مـن أجـل التجارة، وتسـديد الديون، ونحـو ذلك، ومازالت أساسـات بناء دكاكين السـوق شـاهدة على قدم مباني السـوق، ويذكر بعض الـرواة أيضاً أن بناء الدكاكين في السـوق بـدأ بمواد بسـيطة كجريد النخيـل وسـعفه، ثـم تطور مـع الوقت إلـى بناءٍ من الجـص وحجـارة البحر.

يقع سـوق العرصة على مشـارف (فريج المريجة)، وهـو الحـيّ الغربـيّ مـن الشـارقة القديمـة، محصـوراً – أي: السـوق – بـين المسـجد الجامع مـن الغـرب، وبعـض البيوت جنوبـاً، ومنهـا بيت المرحـوم عبيد بـن عيسـى الشامسـي (النابودة) الـذي كان أحـد وجهـاء وأعيـان الشـارقة، ومن جهة الشـرق بعض المباني التي توسّـعت فيما بعد لتشـكلَ الجزء المبنيّ من سـوق العرصة، ومن جهة الشـمال البحـر، ونلاحـظ هنا أن سـوق العرصة والأسـواق الأخرى التـي تفرّعت عنه تقـع جميعاً قـربَ البحـر، وذلك لتسـهيل إنـزال البضائع من السـفن، حيث كان أغلبها يردُ عبر النقل البحريّ، كمـا هـو الحال في بقية أسـواق سـواحل الخليج، وللسـوق ثلاث نَواحٍ رئيسـة، هي سـاحته، وبناؤه، وجهتـه البحرية، وفيما يلي وصـفُ تلك النواحي، والنشـاطات التجاريـة المتعلقة بها.

### أ- ساحة السوق:

كانت ساحة السـوق الخارجية مناخاً لركاب البدو التـي كانـوا يحمّلونها بالحطب والفحـم؛ لبيعه في السـوق، فكانت الإبل تتراصّ في تلك البقعة، ويُباعُ الحطـبُ في شـكل مجموعات محزومـة. من جهةٍ أخـرى تُعد (الصندقـة) دكاناً في الهواء الطلق؛ أي غيـر متصل بمباني السـوق، فهي عبارة عن غرفة مربّعة، تبنى من خشـب البلايـوود (Plywood)، أو مـن الصفائـح المعدنيـة التـي تسـمّى محليـاً (جينكـو)، ولعـلّ تسـميتها بالصندقـة أتـت مـن شـكلها (المُصنـدَق)؛ أي الـذي يُشـبه الصنـدوق الكبيـر، وغالبـاً مـا كانـت هـذه الصنـادق تبيـع السـلع الغذائيـة الخفيفـة، والمشـروبات، وعلـب التبـغ، واشـتهرت بذلـك صندقة كانـت تقع أمام المسـجد الجامـع غربـيّ سـاحة السـوق، وهناك أيضاً (البسـطة)، وهي عبارة عن بسـاط يفرشـه البائع على الأرض، ويضـع عليه بضاعته لعرضها للبيـع، لكنّ البسـطة لا تقتصر على السـاحة، بل كثيـراً ما تكـون داخلَ مبنى السـوق.

**ب- مبنى السوق:**

تنوّعَت محال السوق لأسبابٍ مختلفة، وفيما يلي أهم تلك الأنواع:

1- الدكان: وهو معروف، وأغلب مَحالّ السوق من هذا النوع، ولجميع دكاكين السوق أبوابٌ خشبية، وهي على نوعين، الأول يُسمى (باب بو رَزّة)، ويتألف من قسمين متساويين، يمرّ في طرف كل منهما سيخ حديديّ مثبت بين الأرضية وبناء الدكان، يسمح للباب بالدوران والانفتاح إلى الخارج، والنوع الثاني هو (باب بو طبجتين)، وهو باب يتألف من قسمين كذلك، إلا أن كل قسم ينشني بدوره إلى قسمين أصغر حجماً، وسمّي (بو طبجتين)؛ لأن كل قسم مُنثنٍ ينطبقُ على الآخر، وعلة بناء هذا الباب بهذا الشكل، هي قلة الأخشاب عريضة الحجم، التي يمكن أن يُصنع منها بابٌ كامل.

2- الدكيكين: وهي تصغير دكان، كما هو ظاهر، ويُستعمل لبيع البضائع اليسيرة، أو النشاطات التجارية التي لا تتطلب حيّزاً كبيراً، كإصلاح النِّعال والأحذية مثلاً، أو كمهنة الحلاق الذي يُسمّى محليّاً: «المحسّن»، وكان يوجد دكيكين في السوق لأحد الحلّاقين فعلاً، ومع ذلك ينبغي التنبيه إلى أن الحلاقين في الماضي، لم يكونوا يحتاجون إلى دكان في السوق لممارسة مهنتهم.

3- المَدْبسة: المدبسة هي بناء مخصوص، تُصنع في أرضيته أخاديد صغيرة، توضع فوقها كميات متراصة من التمور ليسيل منها الدبس، ويتم تجميعه، ومن ثمّ بيعه، وكمثالٍ على ذلك توجد مَدبسة في (سوق صقر)، جرى ترميمُها مؤخراً، وسوق صقر هو أحد أسواق الشارقة القديمة، وسأتحدث عنه في الجزء الثاني من هذه المقالة، بإذن الله.

4- البخّار: وهو مخزن للبضائع، وكان من التجار مَن لديه دكان للبيع في السوق، وبخّار لبضائعه في طرف آخر من السوق، خاصةً تجار التبغ التقليديّ.

5- العَمارَة: وهي بناء أكبر من البخّار، وليس له سقف في العادة، يُستعمل لتخزين السلع وبيعها التي تتطلب حيّزاً كبيراً، كالأبواب، والأخشاب الكبيرة، والكندل (الكاف تُنطق بالكشكشة)، وهو نوع من الأخشاب يردُ من إفريقيا، يستعمل في تثبيت أسقف البيوت قديماً، وكانت توجد عَمارَة اشتهرت ببيع الكندل في طرف أسواق الشارقة من جهة الشمال الشرقيّ؛ أي قرب (دوار المُلا) حالياً.

هذا، وكان لمداخل السوق أبواب كبيرة، تفتح صباحاً، وتغلق ليلاً، وله حُرّاس، وكان مَن يأتي من التجار من مناطق بعيدة أثناء الليل، يُضطرّ إلى المبيت خارج السوق، حيث لم يكن يُسمح بدخول السوق إلا بعد صلاة الفجر، ومجيء أصحاب الدكاكين وعامة الناس إلى السوق، وذلك خشية السرقة واختلاط الأمور.

**جـ- الجهة البحرية:**

كان كثير من السلَع يَرِدُ عن طريق البحر، كما ذكرتُ آنفاً، فكان قسمٌ منها يأتي من مناطق محلية، كرأس الخيمة التي اشتهرت بمنتوجاتها الزراعية، وكثير من المحامل؛ (أي السفن)، يأتي من هنالك، وتبندر في فرضة الشارقة؛ (أي ترسو في الميناء)؛

لتفريغ حمولتها، وذلك مقابل فريج المريجة وفريج بوكندر، لتسهيل وصول البضائع إلى السوق، ومن أشهر تلك السفن التي كانت تأتي من رأس الخيمة، وتفرّغ حمولتها للسوق، جالبوت يُدعى (الكيت)، فقد كان الأوّلون يُسمّون مراكبهم بأسماء تميّزها، أما الجالبوت نفسُهُ فهو نوعٌ من السفن الشراعية، يتميّز بصدرٍ قائم، أو غير مائل كبقية مقدمات السفن الخشبية، وفي المناطق الشرقية المطلة على خليج عمان، كان التجار يُحمّلون بضائعهم على المراكب المتجهة إلى أسواق الشارقة، ثم يرحلون على ظهور الجمال قاصدين الشارقة من جهة البرّ، فإذا وصلوا قام كلّ منهم بإنزال بضاعته الخاصة من المركب، والتي كان قد وضع عليها علامة قبل تحميلها على المركب، كي لا تختلط ببضاعة غيره، ثم يبيعها ويشتري ما يحتاج إليه، ويعود بعد بضعة أيام إلى منطقته.

# فن الرزفة

هو فن من فنون الإمارات العربية المتحدة القديمة والعريقة، والتي تؤدى من أهل البادية، حيث يعدّ من الفنون المهارية التي تدل على الشجاعة والمهارة، والتي ترسّخ القيم والآداب والشهامة المتمثلة في ملامح الفرح والفخر، والمرسومة على أوجه المشاركين فيها. وتدل أيضاً على تحمّل المسؤولية، والدفاع عن العشيرة في أثناء الحروب وصدّ الأعداء عنها.

علي العشر
خبير تراث فني

الشيء الجميل في هذا الفن أنه يجمع بين الأداء والشعر الأصيل النابع من جذور تراث دولة الإمارات، وأيضاً يزيد حلاوة وجمالاً وفخراً واعتزازاً في نفوس مؤديه، وبأنهم يؤدونه بالإيحاء والإيقاع الداخلي في أنفسهم، إذ لا توجد فيه أي آلة إيقاعية أو موسيقية، بل شعر ولحن فحسب.

**طريقة أداء فن الرزفة:**

تؤدي هذا الفن مجموعة من الرجال، تقدر بعشرين إلى أربعين فرداً، ينقسمون إلى مجموعتين، مشكلين صفين متقابلين على حسب العدد، فإذا كانوا أربعين ينقسمون إلى صفين، في كل صف عشرون، وإذا كانوا عشرين، ففي كل صف عشرة أفراد، ويحمل كل شخص من المجموعتين بيده عصا من الخيزران، ويكون في وسط المجموعتين شخص يدعى الشاعر، وهو شخص متمكن من إبداع القصائد التي تقال في هذا الفن وحفظها، مع اختيار لحن مركب على أبيات القصيدة التي يبدأ بها، حيث يقوم بغناء البيت الأول من القصيدة إلى الصف الأول مع اللحن، حتى تحفظه المجموعة فتغنيه، ومن ثم ترد عليهم المجموعة الثانية بالبيت واللحن نفسيهما.

وفي أثناء الغناء تتمايل المجموعتان وفي أيديهما العصي، حيث يتم ترديد بيت القصيدة من أربعة إلى خمسة مرات، حتى يغير الشاعر الكلام، ويظلون على هذا المنوال حتى نهاية القصيدة، وفي أثناء الأداء توجد مجموعة ثانية تسمى اليويلة، حيث يتجولون في وسط الميدان، وفي أيديهم سيوف أو بنادق أو عصي، وهم يجولون بها يعملون حركات جميلة تبهر الناظرين إليهم.

ويؤدى هذا الفن في المناسبات والاحتفالات والأعياد الرسمية، وكذلك في الأعراس.

ومن قصائد الرزفة ما يلي:

لو تشوفونا في العين قله
مانرتضي بحال السدادي
كم ديرة نوطي حصتها
بالصمع ورماية بحدادي
ما ننتقل من عدونا طروح
لو يصار شر واجبال الرواس
وقت الضحي يوم ازقروني
اخوان شمه على يميني
عصبتي لا تيلو في الركايب
واقمحو ما بين حصنه وبين سيبه
يا مرحبا بالعوادي ناقلين السلاح
ناشئين الكبادي على باب الصباح
نزلنا من رأس الشوامخ
ورقي شوامخ مستطيلة
البارحة يوم القمر دار
بايت انظر اخواني لعهود
ياني التي الليل محتار
حلو القدم خفيف العود
ثلاث شايات الي امحنني

في القلب داسن لي عضيله
هنتين والثالث تلاهن
والسولعي ينسع جديله
ريت الغضي شافي لي
وانا الذي في قلبي عطيته
ريت القمر في الليل والع
يمشي صالون من دون ليته
رشاش في يدنا واكنديه
والدم في الوديان سايل
صوت المشرخ ماغبانا
في دين دربات الفعايل
من لقاني والتيع عني
شوقني بتباريجه
من ذكرته وانا اصلي
زل فرضي واساهي به
شوبسوي في الهوية ياني
لا يقبل عزر ولا توبه
كلكم شيروا له بعاني
بجتهاد وأعطوا ما جوبه

هذه الصفحة تتناول حياة الناس في الإمارات قديماً... أعمالهم وطرق معيشتهم، وعاداتهم ومعتقداتهم وحكاياتهم، وما يواجهونه من مواقف وطرائف في حياتهم اليومية، من خلال ما رووه شفاهة، أو في المقابلات التي أجريت معهم، ونشرت في الدوريات والكتب.

# مناجم «المغر» في أبوموسى[1]

علي أحمد المغني
باحث في التراث الثقافي

عُرفت جزيرة أبوموسى بمناجم الأكسيد الأحمر، الذي يعدّ من النوعية الممتازة النقيّة، التي لا تحتاج إلى تصفية كبيرة، كما يتوافر هذا المعدن في جزر صير بونعير وطنب، وبعض جزر أبوظبي.

يعرف هذا المعدن في الإمارات بـ«المغر»، وبـ«الرمل، أو التراب الأحمر»، وهو مادة معدنية حمراء اللون، تستخدم في صبغ أخشاب الجندل؛ لإعطاء مظهر جمالي للخشب البارز من السطح، ولحماية تلك الأخشاب من اليرقات والصراصير وغير ذلك من الحشرات التي تنخرها، كذلك تستخدم لوضع علامات على الخشب عند صناعة السفن، باستخدام القلم، نظراً للونها الأحمر الفاقع، فهي بمنزلة الحبر للقلم، ويستخدم المغر بعد إذابته بالماء في طلاء أسفل الشلامين، حتى يعرف الجلاف مدى اتصال الشلمان باللوح أسفله، وذلك بالتعرف إلى الأثر الذي يتركه اللون الأحمر على اللوح، ويستعمل هذا الأكسيد في صناعة الطلاء الأحمر المانع للصدأ، وأحياناً في صناعة أحمر الشفاه للسيدات، وله استخدامات طبية، فيستعمل في علاج مرض «خاز باز»، أو مرض النكاف، بأن تؤخذ المادة السائلة وتخلط مع الصبر، وقليل من الماء، ثم توضع على صدغ المريض، وفوق مكان الانتفاخ، كذلك يستعمل لدهن الأشجار، حيث إنه يساعد على نمو الأشجار، وبقاء الثمرة بحالة جيدة.

ولوجود الأكسيد الأحمر بكثرة في ربوع الجزيرة، صار كل شيء يوحي بأنه مصبوغ باللون الأحمر، فكانت الطرقات والجبال لونها أحمر، كذلك مياه الآبار كانت تميل إلى الاحمرار، حتى أقدام الرجال

مصبوغة باللون الأحمر، ولذلك أطلق عليهم في أحد الاستطلاعات الصحفية «أصحاب الأرجل الحمراء».

يستخرج الأكسيد الأحمر في جزيرة أبوموسى من مناجم يصل عمقها إلى نحو 50 قدماً، فبعد إزالة الطبقة الأرضية العليا بوساطة الديناميت، يبدأ الحفر بالجرافات اليدوية بوساطة العمال؛ لاستخراج خام الأكسيد الذي ينقل بالشاحنات إلى الساحل، ليشحن بالسفن، لتصديرها إلى بريستول في بريطانيا. وكان الشحن يتم مرة واحدة في شهر يونيو/ حزيران من كل عام، ويوجد في جزيرة أبوموسى ثلاثة مناجم، بدأ استغلالها للمرة الأولى عام 1934، من قبل الشركات البريطانية، التي حصلت على امتياز استغلالها مقابل دفع مبالغ لحاكم الشارقة وقتها.

أثبتت التقارير أنّ إحدى الشركات قامت بتصدير ألف طنّ من الأكسيد الأحمر من جزيرة أبوموسى، و70 طنّاً من جزيرة صير بونعير إلى بريطانيا. (أبريل/ مايو 1947). ثمّ في 23 أكتوبر صدّرت الشركة نفسها 2000 طنّ من الأُكسيد الأحمر من جزيرة أبوموسى.

في شهادة لأحد أبناء الإمارات من الذين عملوا في هذه المناجم، يروي الوالد أحمد بن طارش السويدي، من الشارقة، لصحيفة الخليج، تجربته والمعاناة التي واجهها خلال عمله فيها، حيث يقول

إنه انتقل مع المئات من الإماراتيين إلى الجزر للعمل في هذه المناجم، وبعضهم استقر هناك بشكل دائم، مصطحبين معهم أسرهم.

وعمل هو شخصياً في أحد المناجم بصفة «قصّاص»؛ أي يقوم بتكسير الصخور لاستخراج المعدن منها، وهي المهنة الأكثر مشقّة بالنسبة للمناجم، إلا أن الأجر الذي يتقاضاه أسعفه وشجّعه، حيث كان يحصل على (8 روبيات) في اليوم الواحد، بينما يتقاضى «الكولي» (العامل العادي) (3 روبيات على الأكثر)، ولم يكن هناك ما يسمى اليوم بسلّم الأجور، فقد كان مسؤول العمال يقرر الأجر معتمداً على جهد العامل نفسه. وعندما كان يتوفى أحد العمال أثناء العمل، يدفعون لأسرته مبلغاً من المال يقدر بـ(800) روبية.

وعن الاحتياطات التي تتخذها الشركة التي تقوم بتشغيلهم داخل المنجم، يقول إنه لا توجد أي احتياطات لحماية العاملين من الحوادث، والحفاظ على سلامتهم، حيث إن المناجم قد تنهار في أي وقت لأسباب مختلفة. ويضيف ابن طارش: لقد كان وضع المناجم مأساوياً من الداخل، وافتقرت إلى أقل أدوات السلامة، وقد جاء الإنجليز بأخشاب الصنوبر لتثبيت جدرانها من الداخل، كذلك لم تقم الشركة باتخاذ الاحترازات اللازمة لحمايتهم من تأثيرات المعدن في صحتهم، كذلك كانت التهوية سيئة داخلها.

ويَذكر الوالد أن أحد الأطباء التابعين للمحطة الإنجليزية بالشارقة، زارهم ذات مرة في المنجم، ونبههم إلى خطورة العمل من غير وسائل وقائية، قائلاً إن «غبار المغر» مؤذٍ جداً لصحتهم، ومع ذلك لم نعره اهتماماً، على الرغم من موت كثيرين. ويقول إنه أمر غير وارد بالنسبة لنا، لقد كنا نتسابق من أجل العمل، ونقبل بأي عمل، حتى ولو كانت في ذلك مواجهة دائمة مع الموت، وذلك لمرورنا بظروف معيشية صعبة، ونسعى لإعالة أسرنا. قد

حملنا معاولنا نقطع بها الصخور، غير مكترثين للمخاطر! لقد دخلنا المناجم للعمل من دون ثياب، فقط نكتفي بـ«الوزار»، وأحياناً يجبروننا على ارتداء لباس خاص بهم (أوفارول)؛ أي المعطف.

ويتذكر أحمد بن طارش حادثة وقعت في المنجم، فيقول إنه ذات يوم ذهبنا بعيداً في حفرنا النفق، متتبعين أثر المعدن، وهطلت الأمطار بغزارة، فشعرنا بخطورة المكان بعد تسرب المياه إليه؛ لاقترابه من قمة الجبل، وأبلغنا المسؤول الإنجليزي بالخطر المرتقب، إلا أنه رفض الاستماع إلينا، واتهمنا بالتكاسل، ثم قرر الدخول بنفسه للمكان، وأمسكناه من قدميه، وفي اللحظة نفسها انهار التراب فوقه، ومضت لحظات قبل أن نسحبه وهو مغمى عليه، وطلبنا المحطة بهاتف، فجاءت طائرة الإسعاف لتحمله إلى الشارقة، ومنها إلى لندن، حيث عولج، وعندما عاد سألنا عمّن أنقذ حياته، فأخبرناه، فوزّع علينا بعض المكافآت، ويضيف مبتسماً: لقد أنقذناه على الرغم من ظلمه لنا؛ لأن «الغوازي»؛ (أي النقود) عنده!

عن طريقة استخراج المعدن يذكر في المقابلة أن الخبير الإنجليزي الذي هو في الوقت نفسه مسؤول العمال، كان يأتي بدواء (محلول خاص) يعالج به الصخور، لاكتشاف مواقع المعدن وصلاحيته، فيقوم بوضع بضع قطرات فوق الصخرة أو المكان، ثم ينتظر رد الفعل، فيقرر إن كان علينا قطع الأحجار في المكان أم لا.

ويردد المسؤول بعد عشوره على المعدن: هذا رقم (1)؛ أي الباب الأول، وهذا رقم اثنين. ويضيف لقد استخرجنا هذا المعدن بكميات كبيرة، والعاملون في المنجم لم تكن لديهم أدنى فكرة عن أهمية المعدن، وأصيبوا بالدهشة عندما كان الخبير البريطاني يضحك، وهو يحمل بين يديه بعضه، مردداً إن هذا المقدار يساوي جنيهاً من الذهب!

ويضيف أحمد بن طارش: عرفنا المعدن عبر التاريخ تحت اسم «المغر»، واستعملناه مثل أسلافنا في حفظ المؤونة والأغذية الجاهزة من التعفن، لقد كنا نصدّر سمك العومة في قدور من الفخار إلى الدول المجاورة، ونضع «المغر» فوقها، فتبقى كما هي، ولو لسنوات! لقد كان أفضل وسيلة لحفظ الأطعمة طازجة كما هي.

هذه شهادة من أحد أبناء الإمارات، من الذين عملوا قديماً في مهن صعبة، فمن الغوص إلى العمل في المناجم، من أجل إعالة أسرهم، وتوفير حياة كريمة لهم، متحدّين ظروف العمل القاسية التي تفتقر إلى الحد الأدنى من إجراءات الصحة والسلامة، ومواجهتهم المخاطر التي قد تحدث في أي لحظة.

1- حمد بن صراي وعلي المغنّي، معجم المصطلحات العمرانيّة في التراث الإماراتي، (معهد الشارقة للتراث)، الشارقة، 2019، ص. 132؛ عبدالله علي الطابور، الطب الشعبي في الإمارات العربية المتحدة، ط3، 2008م، ص. 416؛ علي محمد راشد، دولة الإمارات العربية المتحدة في مجلة العربي –1960 1980، (نادي تراث الإمارات – مركز زايد للدراسات والبحوث)، أبوظبي، 1440هـ – 2018م، ص. 232–233؛ هند عمرو، «أحمد بن طارش السويدي.. انهار المنجم على المسؤول الإنجليزي فأنقذناه؛ لأن (الغوازي) عنده»، (صحيفة الخليج)، الشارقة، 2–12–1985م. اتصال شخصي بالدكتور حمد بن محمد بن صراي: رأس الخيمة، صباح الثلاثاء 25 صفر هـ الموافق لـ13 أكتوبر 2020م.

صور ارشيفية من أسبوع التراث المصري 2016

# اليوم الثقافي المصري عبر منصات «الشارقة للتراث»

نظّم معهد الشارقة للتراث فعاليات اليوم الثقافي المصري افتراضياً، عبر منصاته على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بالمعهد، وعبر برنامج «مايكروسوفت تيم»، ضمن أجندته المتعلقة ببرنامج «أسابيع التراث العالمي»، الذي يستضيف فيه شهرياً بلداً عربياً أو بلداً أجنبياً، تحت شعار «تراث العالم في الشارقة»، حيث أتاح للجمهور المستمع والمشاهد جولة في رحلة عبر التاريخ، ليتعرفوا خلالها إلى مختلف مكونات التراث المصري من فنون شعبية، وموسيقى، وطرب، وحضارة عريقة تمتد جذورها إلى آلاف السنوات.

وقال د.عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «إن لدى مصر الشقيقة تراثاً عريقاً، وتجربة غنية تستحق التقدير، كما أن رصيدها في التراث كبير جداً ومتميز، ويستحق الاطلاع والتعريف به، ولدى القائمين على التراث المصري والمشتغلين فيه خبرات وتجارب غنية».

وأضاف: «جاء تنظيم الفعالية الحافلة بالتراث المصري بشكل افتراضي؛ دعماً للإجراءات الوقائية والاحترازية، حيث فتحت أسابيع التراث العالمي نافذة جديدة على العالم، عكست





المعارف والخبرات والتجارب، وتفاعلها معاً، من أجل الاستمرار في حفظ التراث الثقافي وصونه، وحمايته ونقله للأجيال القادمة».

وأكمل: «ولإحياء ذكرى الأسابيع التراثية ينظّم المعهد يوماً ثقافياً كل شهر للاحتفاء بتراث الدول التي تمت استضافتها خلال السنوات الماضية، لاستذكار عناصره ومفرداته، وما يشمله من عادات وتقاليد وحرف يدوية وألعاب شعبية، وأزياء تراثية وغيرها الكثير، وذلك ما شاهدناه في اليوم الثقافي المصري مع مجموعة من الخبراء والمهتمين في مجال التراث والثقافة المصرية، فالثقافة تعدّ قاطرة للتنمية الشاملة التي لا يغيب عنها الجانبان الاقتصادي والسياحي، وتلعب دوراً كبيراً في التقارب بين الشعوب».

## فعاليات متنوّعة

تضمن اليوم الثقافي المصري عرض فيديو افتتاح أسبوع التراث المِصري، والذي نُظم سابقاً عام 2016 في مركز فعاليات البيت الغربي بقلب الشارقة، وعرض فيديو لرقصة العصا المستوحاة من فن التحطيب، المسجل في قوائم «اليونسكو» للتراث الثقافي غير العادي، وعرضاً للسيرة الهلالية، وأغاني الصيادين قديماً، وأغنيتين شعبيتين من الواحات المصرية لفاطمة بلال، بالإضافة إلى أغاني السمسمية، وآلة السمسمية «النوبة»، وفن الكف «أسوان»، وفنون واحة سيوه «الصحراء الغربية»، والنخيل في النوبة.

وعُرض فيديو لفن من فنون البادية المصرية «الصحراء الشرقية»، ومهاجاة الرحى من التراث البدوي المصري، قدمها أبو الفتوح البرعصي وأحلام أبونوارة، وموال مصري على آلة الأرغول، وعرض لفن اللغم «إدفو جنوب

صور ارشيفية من أسبوع التراث المصري 2016

مصـر»، بالإضافـة إلـى عـرض فـن الأراجـوز، وهو تراث إنسـاني فريـد، وجولة في القاهرة التاريخية «شـارع المعـزّ، حـي النحاسـين، طراز العمـارة والفنـون الحرفية»، وعـروض لتشـكيلة مـن المأكولات والمشـروبات الشـعبية المصريـة، وعرض لصناعـة الكتـاب والفنون التراثيـة في القاهـرة التاريخيـة. وشـهد اليـوم الثقـافي المصـري العديـد مـن الأنشـطة والبرامـج والفعاليـات المتميـزة علـى مـدار يومـين، ضمـن البرنامـج الفكري، أهمهـا محاضـرة بعنـوان «تاريـخ المتاحف المصريـة»، قدمها الباحث الدكتـور حسـين عبدالبصيـر، وندوة بعنـوان «تاريـخ دراسـات الثقافـة الشـعبية في مصـر»، قام بتقديمهـا الباحـث إيهـاب الملاح، وندوة بعنوان «تجليـات التراث في المسـرح المصري»، قدّمهـا الباحث الدكتـور زياد يوسـف.

كما عرض الباحـث فيصل الموصلي جماليـات مدينـة النوبـة المصريـة، ضمـن نـدوة بعنـوان «تـراث النوبة المصريـة»، بالإضافـة إلـى نـدوة بعنـوان «موسـيقى السـواحل المصريـة»، قدمهـا الباحـث الدكتور محمـد شـبانة، وأخرى عـن «تراث البادية المصريـة»، قدمها كل من أبو الفتوح البرعصي وأحـلام أبونوارة. وتأتـي أسـابيع التـراث العالمـي في إطـار أنشـطة المعهـد للتعريـف بالتـراث الثقـافي العالمـي، وانفتاحه على التجـارب العربيـة والدولية في هـذا المجال، حيـث تقدم الأسـابيع الفرصـة للأشـقاء والأصدقـاء، من أجـل عـرض العديـد مـن النمـاذج مـن تراثهـا الثقـافي بمختلـف تجلياته وأنواعه وأشـكاله، اسـتناداً إلـى توجيهـات صاحـب السـمو الشـيخ الدكتور سـلطان بـن محمد القاسـمي، عضـو المجلـس الأعلـى حاكم الشـارقة، ودعمـه اللامحدود للتراث والمعهد، في مختلف أنشـطته.

صور ارشيفية من أسبوع التراث المصري 2016

## على مدى 3 أيام عن بعد

# «ملتقى الراوي» يحتفل بمسيرته العشرين

عاشـت إمـارة الشـارقة، كمـا عـاش محبـو التـراث والحكايـة، 3 أيام مـع حزمة من الفعاليـات والبرامج والأنشـطة المتميـزة في «ملتقـى الشـارقة الدولـي للـراوي»، تحت شـعار «الاحتفـال بالعشـرين»، الذي تمّ بثّـه من خلال المنصـة الافتراضية لمعهد الشـارقة للتراث.

وأوضـح سـعادة الدكتـور عبدالعزيـز المسـلّم، رئيس معهد الشـارقة للتـراث رئيس اللجنة العليـا للملتقى: في هـذه الظـروف الاسـتثنائية تعلمنـا أن التواصـل والتفاعـل قـد يكونـا سـهلين من خـلال هـذه الثورة المعلوماتيـة، والدقـة والحداثـة في الأجهـزة التقنيـة المتطورة، فقد كنا في السـابق نسـتدعي الضيف الذي قـد يأتي مـن مسـافات بعيدة جـداً؛ ليقـدم مداخلة أو محاضرة أو وصلة بسـيطة، أو يشـارك في جلسـة، الآن المـردود أكبـر، على الرغم من عـدم حضور هذا الضيـف، وبجلوسـه في جامعتـه أو بيتـه، لكنـه يُقدم

الدكتور عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس اللجنة العليا المنظمة

حصيلـة أكبـر، من خـلال هـذا التواصل عـن طريق المنصـات الافتراضية.

وتابع سـعادته: حرصنا على عـدم التوقف هذا العام، بـل العمـل علـى مواصلة نشـاطنا بخصـوص ملتقى

الشارقة الدولي للراوي، وبالتالي جاءت مواصلتنا للأنشطة والفعاليات التراثية، على قاعدة إنعاش البرامج، من خلال طرق ووسائل شتى، فكانت المنصة الافتراضية للمعهد محطة للملتقى، وكان المردود إيجابياً جداً، وقد تعلمنا الكثير في مواصلة العمل الثقافي في التراث الثقافي، بكل الوسائل المتاحة، حتى لا تنقطع هذه الصلة بيننا وبين الناس.

وأشار إلى أن الملتقى في نسخته العشرين، كان مواصلة للنسخ السابقة، وجاء كالعادة شارقياً عربياً دولياً بامتياز، بتفاعل عربي وعالمي كبير، وتآلف ودّي مميز، مضيفاً: عندما نستحضر مسيرة 20 عاماً في مشوار الملتقى، وتلك البدايات البسيطة والحيوية، وصولاً إلى قيمته الكبيرة اليوم، عربياً وعالمياً، نقول إن ما حقّقناه من نجاح وتميز، لم

عائشة راشد الحصان
مدير مركز التراث العربي
المنسق العام

يكن ليرى النور، لولا الدعم المستمر والكبير من قبل راعي الثقافة والمعرفة، وحامي التراث، صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة؛ لذلك أصبح الملتقى علامة فارقة في المشهد الثقافي.

وتقدم الدكتور المسلّم، بالشكر والتقدير إلى كل فريق العمل، الذي أسهم إسهاماً كبيراً في إنجاح هذه الفعالية العالمية الكبيرة.

### توصيات ملتقى الشارقة الدولي للراوي 2020

وأوضحت عائشة الحصان الشامسي، مديرة مركز التراث العربي المنسق العام لملتقى الشارقة الدولي، أن متتبع فقرات البرنامج وأنشطته سيجدها بمثابة محطة تأمل وتقييم للمسار، وكذلك في الحصيلة والمنجز، وقد تم التنويه بالملتقى كآلية للاحتفاء بالرواة والكنوز البشرية، ضمن منظومة صون التراث الثقافي، مع عرض الخبير في التراث غير المادي د.أحمد السكونتي، ودارت معظم محاور الندوات والمنشورات واللقاءات حول عناصر القوة في





هذه الفعالية، والتحديات الراهنة أمامها، وحصيلة المنجز منها، وآفاق تطويرها.

وأضافت بما يخص التوصيات، وفي ختام نسخة هذا العام الاستثنائية، لا يسعنا إلّا أن نبسط على مسامعكم مجموعة من التوصيات المهمة، النابعة من دروس الظرفية الصحية من جهة، ومن أهمية مضامين البرنامج وموضوعاته من جهة ثانية، ومن بينها:

1- إصرار معهد الشارقة للتراث على استمرار ملتقى الشارقة الدولي للراوي، كمناسبة سنوية للاحتفاء بالرواة وتكريمهم، مهما كانت الظروف.

2- التسريع في إرساء بنيات رقمية تفاعلية ذات صلة بالرواة والكنوز البشرية الحيّة، المحلية والإقليمية والدولية.

3- تعزيز العمل بمعايير دولية وتقويته، وتحديداً معايير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) في العمل بمنظومة الكنوز البشرية الحيّة.

4- توسيع المواد التراثية وإتاحتها عبر بوابات رقمية، تحت إشراف خبراء ومتخصصين في المجال.

5- رصد التراكم الكمّي والكيفي في العمل مع الرواة، أو ما يسمون بالكنوز البشرية، عبر وضع كشاف ببياناتهم ومهاراتهم وتحديد خصائص مادتهم.

6- القيام بدراسات نوعية، بالشراكة مع معاهد العلوم الاجتماعية والجامعات، تهم أصناف هذه الفئة من الكنوز البشرية، وتحليل بيئاتها، وحاجاتها، ورصد تطلعاتها، ومنهجيتها في السرد، ومشاربها، وروافدها.

7- رسم معالم استراتيجية في التعامل مع الكنوز البشرية الحيّة، وتوسيع دائرة الاستفادة منها، وإعادة استنبات عطائها واستدامته، وإعداد برامج تدريبية لرواة المستقبل وحماة التراث.

8- توسيع دائرة مشاركة الأطفال، واليافعين، والشباب، خصوصاً على المستوى المحلي، في فعاليات الملتقى، وتحديداً في سرد الحكايات، وتشجيعهم ورعايتهم ومتابعتهم، من خلال المدرسة الدولية للحكاية، وفن الحكي بمعهد الشارقة للتراث.

9- الحرص على استمرار نشر الدراسات والمشاركات المقدمة في الملتقى، بعد إجازتها من قبل اللجنة العلمية، في نسخ ورقية ورقمية، بعد الملتقى؛ لتعميم الفائدة.

## تعزيز التواصل الثقافي والتعاون المشترك بين الإمارات والهند

# عبدالعزيز المسلّم يستقبل القنصل الهندي

استقبل سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، مؤخراً، سعادة الدكتور أمان بوري، القنصل العام لجمهورية الهند في دولة الإمارات العربية المتحدة، برفقة نيراج أجاروال، القنصل المكلف الصحافة والإعلام والثقافة، بحضور أحمد الدح، مدير إدارة الممتلكات التراثية رئيس قسم العلاقات الدولية، والدكتور منّي بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر، والأستاذة آمنة الزرعوني، منسقة العلاقات الدولية، بهدف الاطلاع على تجربة المعهد في كيفية حفظ التراث وصونه، ونقله للأجيال بشتى الوسائل والأدوات والطرق العلمية والعملية والمواصفات العالمية، كما تناول اللقاء جوانب التعاون الثقافي المشترك بين الهند والإمارات.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد: «إن مشروع الشارقة الثقافي الذي أطلقه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، جعل من الإمارة الباسمة وجهة عالمية للثقافة، وعمل على تعزيز التواصل والتبادل الثقافي مع





مختلف الثقافات والشعوب، ضمن الخيار الثقافي الذي تبنّته الشارقة، والذي تشرف على إنجازه مؤسساتها الثقافية، وصروحها البارزة، كما تعكس الفعاليات والأنشطة والملتقيات والمؤتمرات التي تنظمها الشارقة، على مدى العام، حجم المخرجات الثقافية القوية، والداعمة لمسيرة النهضة الفكرية في الإمارة».

ورحّب سعادته بالتعاون المشترك مع الهند، من خلال تبادل الزيارات، والتعاون والمشاركة في الأنشطة والفعاليات المتبادلة، والتعاون في مجال النشر، مؤكداً أن المعهد يفتح قنواته للتواصل الفعّال مع مختلف الثقافات، بما يتسق مع رؤيته الثقافية، وستكون فاتحة التعاون المشترك ترجمة ونشر كتاب: «مائة قصيدة هندية رائعة»، للشاعر أبهاي كومار، وهو كتاب زاخر وغني، تمت ترجمته إلى لغات عدة.

من جانبه، شكر سعادةُ الدكتور أمان بوري، رئيسَ المعهد على حفاوة الاستقبال، وما أبداه من جاهزية تامة للتعاون المثمر بين البلدين، مثمّناً هذه السانحة الطيّبة التي ستفتح المجال لمزيد من التعاون والتواصل الثقافي.

وتأتي جهود معهد الشارقة للتراث من أجل التعريف بالتراث الإماراتي، الذي يشكل أحد أهم عناوين وملامح الهوية الوطنية والخصوصية، وحفظه وصونه ونقله للأجيال، من خلال مختلف الأنشطة التي ينفذها المعهد على مدار العام، مثل أيام الشارقة التراثية، وملتقى الشارقة الدولي للراوي، وأسابيع التراث العالمي، وغيرها من الفعاليات التي تتكامل مع الجانب المعرفي والعلمي والأكاديمي للمعهد.

# وفد سوداني يطلع على جهود الشارقة في صون التراث

بحث معهد الشارقة للتراث، والمجلس القومي للتراث الثقافي وترقية اللغات القومية بجمهورية السودان، سبل بناء جسور التعاون بينهما، فيما يخص استراتيجية صون التراث الثقافي غير المادي، وفريق العمل التنسيقي لاستراتيجية التراث الثقافي غير المادي بجمهورية السودان، جاء ذلك خلال زيارة وفد من فريق العمل التنسيقي لاستراتيجية التراث الثقافي غير المادي بجمهورية السودان لمعهد الشارقة للتراث.

وجاءت الزيارة بحضور كل من الدكتور أسعد عبدالرحمن عوض الله، الأمين العام للمجلس القومي للتراث الثقافي وترقية اللغات القومية، والمهندس عبدالقادر صالح عابدين، مسؤول برنامج العلوم والثقافة في مكتب اليونسكو بالخرطوم، ولمياء السماني، منسق مشروع بناء القدرات في صون التراث الثقافي غير المادي في السودان، حيث كان في استقبالهم عائشة راشد الحصان، مديرة مركز التراث العربي، والدكتور محمد لملوكي، رئيس قسم البحوث والدراسات بمركز التراث العربي، وإيمان مصطفى، نائب رئيس قسم العلاقات الدولية بالمعهد.

وأوضح سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، أنه تم إطلاع الوفد الضيف على دور معهد الشارقة للتراث على الصعيد العلمي والأكاديمي والعملي، ومختلف الأنشطة والبرامج والفعاليات التي ينفذها المعهد على مدار العام، التي تتنوع من أنشطة وبرامج فكرية، وندوات متخصصة، والفعاليات والأنشطة التي تعنى بالتراث بشقيه المادي وغير المادي.

وأشار المسلم إلى أن الوفد زار أيضاً كل أقسام المعهد، وتحدث مع الموظفين والمسؤولين في مختلف الأقسام، كي يشكل فكرة عامة وشاملة عن المعهد وجهوده

ودوره؛ من أجل الاستفادة منها في بلده، كما زار الوفد الضيف مركز التراث العربي، والمتحف العربي، وشكّل صورة عامة ومهمة عن مختلف الأنشطة.

وعبر الوفد عن إعجابه وتقديره للمعهد وأنشطته وبرامجه، وأكد أهمية تبادل الزيارات والخبرات والتجارب، بما يسهم في الاستمرار بالمحافظة على التراث وصونه ونقله للأجيال.

وتأتي جهود معهد الشارقة للتراث من أجل التعريف بالتراث الإماراتي، الذي يشكل أحد أهم عناوين الهوية الوطنية وملامحها وخصوصيتها، وحفظه وصونه ونقله للأجيال، من خلال مختلف الأنشطة التي ينفذها المعهد على مدار العام، مثل أيام الشارقة التراثية، وملتقى الشارقة الدولي للراوي، وأسابيع التراث العالمي، وغيرها من الفعاليات التي تتكامل مع الجانب المعرفي والعلمي والأكاديمي للمعهد.

# المطر

## الحاضر القوي في الأدب الشعبي الإماراتي (3)
## «الأغاني والأهازيج الشعبية»

يزخر الأدب الشعبي الإماراتي بسيل من الأجناس التي تخصّ المطر، لاسيما الأغاني والأهازيج الشعبية، التي تتغنى بمختلف طقوس المطر، وتسهب في التعبير عن سقوطه، فثمة كثير من الأغاني والأهازيج الشعبية التي أفرزها المطر منذ القدم، وكان يؤديها أبناء الإمارات في مواسم المطر، وترسخت في المجتمع، بل ارتبطت بعاداته وتقاليده، وبقيت متأصلة ومتجذّرة فيه حتى اليوم.

خالد صالح ملكاوي
باحث وإعلامي – الأردن

فقد أفرد التراث الشعبي مساحة كبيرة لأهازيج وأغاني المطر التي دأب الأطفال والنساء، وحتى كبار السن على التغني بها عند نزوله، أو عند انحباسه وتأخر سقوطه، معبرين عن الفرح بقدومه، واصفين نقاءه وطهارته وجماله.

ولا غرابة في ذلك، فالمطر يحتل حيزاً غير عادي في الموروث الشعبي الإماراتي، بما يعكس شكل وملامح حياة الإماراتيين في فصل الشتاء؛ فمع سقوطه تسود المجتمع حالة من التقارب والمودة والمحبة والوئام؛ ليترسخ كمناسبة فرح وسعادة، فهو مصدر





إرواء للإنسان، ولكل ما تحتضنه الطبيعة من حولها من كائنات حية من حيوان أو نبات، يترقب الناس مع بداية موسمه (الوسمي) اخضرار البر ونمو نباتاته، وظهور خيراته، فضلاً عن أن المطر كذلك رمز للطهارة والبركة، ينجذب الناس إلى التطهُّر والتبرُّك به، فينجلي معه الحزن والتجهُّم والنفور من قلوب البشر.

وقد تكون أغنيات الأطفال هي صاحبة الحظوة في هذا المأثور الغنائي الجميل، وهي من أروع ما قيل فيه، لاسيما كقيمة ثقافية وتربوية، وهذا يتسق مع المنطق؛ فكل من الماء والطفولة لهما صفة الطهارة، وحضور الأطفال حضور للمطر والخصب، حضور لبراءة النفوس التي لم تتلوث بعد. ومن المسلَّم به أن أغاني الأطفال الشعبية من أهم الأجناس الأدبية في التراث الشعبي، باعتبارها صوتاً له إيقاع ووزن ومعنى، يستجيب لمواقف معينة، وهي لا تقوم بوظيفة جمالية فحسب، ولا تستجيب لمقتضيات التعبير الفني فقط، ولكنها تقوم بدور تربوي وتثقيفي، بل تعليمي أيضاً، إلى جانب عملها على زرع المبادئ الدينية والأخلاقية، والاستجابة للوجدان الجمعي.

وتُعد الإمارات بيئة وافرة الخصوبة لنشأة مثل هذا النمط من الأغاني الشعبية، نظراً لاتساع رقعتها الجغرافية وتنوعها؛ فهي تنقسم إلى مدن ساحلية وقرى بدوية، وقرى زراعية، وأخرى جبلية، علاوة على الجزر الكثيرة المنتشرة في مياه الإمارات. ومن المسلَّم به في أغاني الأطفال الشعبية أنها مجهولة المؤلف، غير أن اللمسات الدقيقة التي تتجلى بين حين وآخر تبرز روح الشاعر المؤلف الذي وقف

وراء إبداعها، وتشهد على ذلك النصوص الغنائية المشتركة بين مناطق الإمارات المختلفة، حيث نجد كل منطقة تستخدم الأغنية ذاتها، ولكن بشواهد وأسماء مختلفة، مع الإبقاء على الإيقاع الغنائي من اللحن والوزن والقافية.

ومع المطر، للأطفال فرحتهم الخاصة به، حيث يخرجون من منازلهم بعد توقف المطر مباشرة، ويلعبون ويلهون بالماء، ويخوضون فيه، وعادة ما يرددون بعض الأهازيج التي تعبّر عن فرحهم وسرورهم به. ومن أهم ما يلاحظ في مثل هذه الأغاني والأهازيج هو التأكيد على ذكر الله، والتمسك به، والتسليم بقدره، ويدل ذلك على النزعة الدينية التي يتسم بها أهل الإمارات، وشدة تمسكهم بالإيمان بالله عزّ وجلّ، ويُعد هذا من أسمى معاني التربية والتثقيف الديني. ومن الأهازيج التي ينشدها الأطفال فرحاً بنزول المطر:

**طاح المطر بيد الله — كسر حوي عبدالله**
**طاح المطر برعوده — كسر حوي سعوده**
**طاح المطرع الخيمة — كسر حوي افطيمة**
**طاح المطر من فوق — كسر حوي بن طوق**

وثمة أهزوجة مرادفة:

**طاح المطر بيد الله — كسر حوي عبدالله**
**طاح المطر برعوده — كسر حوي سعوده**
**طاح المطر في الوادي — وتباشرت البلادي**
**طاح المطر من فوقي — كسر حوي بن طوقي**

ومن أهازيج المطر البسيطة العفوية التي تختتم بالتسليم بأمر الله صاحب الأمر بنزول المطر:

**حمامه نودي نودي — سلمي على سعودي**
**سعودي ساير مكة — بيب ثياب بو العكة**
**بحطه في صندوقي — صندوقي ما له مفتاح**
**والمفتاح عند الحداد — والحداد يبغي فلوس**
**والفلوس عند العروس — والعروس تبغي عيال**
**والعيال يبغون حليب — والحليب عند البقر**
**والبقر يبغون حشيش — والحشيش فوق الليل**
**والليل يبغي مطر — والمطر عند الله**

وفي العامية، يطلق على الرذاذ الخفيف الذي يبلل وجه الأرض لفظة «النفاف»، فإذا زاد على ذلك فهو «رشاش» أو «مطشش»؛ أي رشات ناعمة من المطر، وقد يشتد المطر فيكون مصحوباً بالبرق والرعد، ويطلق عليه في هذه الحالة «يود»، أما المطر المصحوب بالبرد والهواء فيسمى «طهف»، وإذا تواصل سقوط المطر الخفيف لأكثر من أسبوع يدعى «خومة».

وقد دأب الأطفال على مشاركة أهاليهم فرحهم بقدوم المطر، واعتادوا قديماً التغني بالمطر في كل حالاته، فمع بداية نزول المطر رذاذاً خفيفاً، كانوا يرددون الأهزوجة الآتية استبشاراً بالمطر وفرحاً به وطلباً له:

**طاحت عليه نفه — قوموا اشترولي دفه**
**طاح المطر برعوده — كسرحُوْي سعوده**
**طاح المطر بيد الله — كسرحوي عبدالله**





**طاح المطر من فوق — كسرحوي بن طوق**

كما تصوّر أهزوجة إماراتية أخرى أشكال التغني والفرح بالمطر:

**طاح المطر بيد الله**
**الله ايخلي عبد الله**
**عبد الله ربه الله**
**طاح المطر بيد الله**
**كسر حُوْي عبد الله**
**طاح المطر بغيومه**
**كسر حُوْي مريومه.**

أما بعد انتهاء فصل الشتاء، فيقلُّ نزول المطر، وتتضاءل معه الآمال، ولا يخلو فصل الصيف من مرور غيم عابر، لا تعلَّق عليه أي آمال، لكنه لا يترك نصيبه من الأغاني والأهازيج، فعند مشاهدة الغيم في السماء صيفاً، كانت تهزج النساء:

**غيم إلا دمامة — والمطر وقته فات**
**طوق وحط عمامة**
**واصبر على الخلات انهى**
**والشهامة أبو لولها الضيجات.**

ومع موسم المطر يظهر قَوْس قُزح (قوس المطر أو قوس الألوان)، وهو ظاهرة طبيعية فيزيائية، ناتجة عن انكسار وتحلل ضوء الشمس خلال قطرات ماء المطر، وقد يظهر قوس قزح بعد سقوط المطر، أو خلال سقوط المطر والشمس مشرقة، ويكون عادة بشكل نصف دائري، كطيف من الضوء، يشتمل على مجموعة من الألوان المألوفة، تجذب المتمعن فيها. وقد وجد هذا القوس مكاناً له في الأغاني والأهازيج الشعبية الإماراتية، مثل:

**قوس قوس بو الجدح — شل العيايز واجسح**
**وصبي كبر لعمامه — وحط اخويته جدامه**
**قالت ياخوي انهضني — فوق بشوف نيوم غشايه**

**المصادر والمراجع:**

1. إبراهيم أحمد ملحم، الفولكلور في مجتمع الإمارات.. الأصالة والتنمية، أبوظبي: نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، 2019م.
2. عبدالحكيم الزبيدي، الأهازيج الشعبية في الخليج والجزيرة العربية، القاهرة: شمس للنشر والإعلام، 2019م.
3. عبدالحميد حواس، أوراق في الثقافة الشعبية، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الأولى، 2005م.
4. علي إبراهيم الدرورة، الأهازيج الشعبية في الخليج العربي، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، الطبعة الأولى، 2000م.
5. فاطمة حمد المزروعي، الأغاني الشعبية، أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، 2015م.
6. فالح حنظل، جامع الأمثال ومأثور الأقوال والحكم والكنايات عند أهل الإمارات: دراسة في الثقافة والقيم الفكرية الشعبية،
7. فوزية طارش ارحمه، الأغاني الشعبية للأطفال والنساء، دبي: دار القراءة للجميع للنشر والتوزيع، 1994م.
8. موزة عبيد غباش، التراث الشعبي في دولة الإمارات: دراسة شاملة لفولكلور التاريخ الثقافي لدولة الإمارات العربية المتحدة، دبي: دار القراءة للجميع للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 2011م.
9. جريدة الشرق الأوسط، 8/6/ 2019م.
10. جريدة العرب اللندنية، 2017/172م.
11. وام، 2013/2/3م.

# الباحث أحمد توفيق:

## كتاب الحواديت محاولة لتوثيق تراثنا وحماية هويتنا

أحمد توفيق

حوار: منير عتيبة
كاتب روائي – مصر

يجمع الشاعر المصري أحمد توفيق بين عدد من التخصصات والمواهب، التي استطاع أن يضفرها لينتج أعمالاً تتسم بالأصالة والتفرد، فهو شاعر، وباحث في التراث الشعبي، وكاتب مصري، وكاتب أطفال؛ لذلك كان حريصاً على إنتاج وجمع بعض أهم الأعمال التراثية التي تخص الطفل المصري، وهي أعمال تتميز بالموسوعية والشمول، واحتاجت منه إلى سنوات من الجهد والوقت والمال والتنظيم، مثل كتاب «الحواديت»، الذي يمثل موسوعة تضم معظم الحكايات الشعبية للأطفال، فكيف بدأت الفكرة؟ ولماذا؟ وما جدواها؟ وأهم العقبات التي واجهها الباحث أثناء الجمع والتنسيق والنشر؟ وغيرها من الأسئلة كانت محور هذا الحوار مع الباحث أحمد توفيق.

> الحكايات الشعبية في معظم البلدان العربية يجمعها منطق واحد في طريقة الحكي والمفاهيم





**- كيف بدأت فكرة كتاب الحواديت وتجميع حكايات الطفل المصري في موسوعة؟**

ليس غريباً أن أتعلق بهذا العالم، وأن أحبه هذا الحب، فقد نشأت في أسرة تحفظ من موروثنا الشعبي الكثير، من خلال عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، ومن خلال ما تحفظه من أغاني وأمثال وتعاويذ وحواديت شعبية، ثم ازداد عمق العلاقة بيني وبين هذه الحياة، بعد أن انتقلت مع الأسرة إلى الصعيد/ قرية بني زيد الأكراد (القرية التي بدأت الجمع منها)، وتربيت فيها، وأصبحت واحداً من ناسها، أحب ما يحبون، وأكره ما يكرهون.

كنت شغوفاً مع أبناء جيلي من أطفال القرية بالجلوس في دوار جدي عطية؛ لسماع حواديت الجدة، ولما شاركت مع فريق عمل جمع روايات السيرة الهلالية، وكذلك مشروع متحف الحضارة، ضمن مشروع الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية، ضم أصدقائي الأساتذة: د .محمد حسن عبدالحافظ، ومدحت صفوت، ونور الجيزاوي، جمعت بعض هذه الحكايات، وخلال تلك الرحلة التي بدأتها مع فريق العمل بهذين المشروعين، ثم أكملتها بعد ذلك بمفردي، كان الموت يختطف من وقت لآخر، بعض حملة

هذه العناصر الثقافية، بما يحفظونه من فنون شعبية غاية في الأهمية، ومن وقتها قررت أن أوثق منها ما أستطيع توثيقه، قبل أن تضيع ثروة من أهم الثروات الثقافية التي تحافظ على تراثنا، وتحمي هويته.

**- ما الدافع وراء جمع وتوثيق الحواديت الشعبية؟**

اجتهد في جمع وتوثيق الحواديت وغيرها من فنون الجماعة الشعبية، القولية والحركية والتشكيلية، من منطلق الحفاظ على الهوية النوعية للجماعة، التي تمثل المؤشر الحقيقي لمدى رسوخ وعمق الهوية المصرية، فكلما تلاحمت الثقافة الرسمية مع ثقافات تلك الدوائر المجتمعية؛ تأكد عمق الهوية وصعب اختراقها، والعكس عندما تتباعد المسافة بينهما؛ فثقافة الجماعة الشعبية تحمل بداخلها عوامل الاستمرار والبقاء، فكما أن فيها مشكلات، فيها أيضاً سُبل عدة للحلول.

> كتاب الحواديت محاولة لتوثيق ثروة مهمة قبل أن تضيع

**- ما الأدوات المستخدمة في الجمع، والأشخاص الذين استعنت بهم لإتمام عملية الجمع بنجاح؟**

تحديد دليل الجمع في المنطقة التي يريد الباحث الجمع منها، ثم الإخباريين، ومن خلال الجمع يتم التعرف إلى منطقة الجمع، وطبائع الجماعة الشعبية فيها، والرواة المستهدفين. والتعامل يتم

على أساس الظرف، وطبيعة الرواة، ونوعيتهم. يتم الجمع من الراوي في جماعة أو منفرداً إذا تطلب الأمر. من أدوات الجمع: كاميرا فيديو، جهاز صوتي، كاميرا تصوير فوتوغرافي. أحياناً يتم الجمع من الراوي أو الراوية بوساطة الدليل، خاصة إذا كانت الراوية امرأة، عندما ترفض التسجيل مع الباحث لأنه غريب. أقوم بعمليات التفريغ والتدوين بنفسي، وأستبعد المواد غير المكتملة. وأيضاً قمت بتصنيف المادة، تصنيفاً ميدانياً؛ أي وفق الظروف التي فرضها الميدان.

**- كيف اخترت أماكن الجمع؟**

اخترت أماكن الجمع وفقاً للمعايير الآتية: قرى، مدن.. ثم اخترتها من حيث قربها من النيل أو الجبل، على النحو الآتي: بلدان نيلية؛ أي التي تقع على ضفاف النيل. بلدان جبلية: المجاورة للجبل. بلدان نيلية جبلية؛ أي التي تحظى بالطبيعتين أو الثقافتين. ومن ناحية أخرى تم اختيار البلدان وفق موقعها من النيل: مناطق شرق النيل، ومناطق غرب النيل، ثم المناطق الساحلية، والمدن الكبرى (أحياء شعبية، عشوائية، راقية)، محافظات الحدود التجمعات النوعية (العبابدة، البشارية، النوبة، قبائل سيناء، واحة سيوة).

**- أهم العقبات التي صادفتك في ميدان الجمع؟**

صادفت صعوبات كثيرة أثناء تعرفي إلى طبيعة مناطق البحث، جبلية منها أو نيلية، والدخول إلى عالم كل دائرة مجتمعية من تلك الجماعات الشعبية المغلقة في كثير منها، بداية من تحديد مناطق الجمع، وتحديد الأدلة والإخباريين، وكذلك التعامل مع ظروف ضيق الوقت المتاح للجمع من منطقة الجمع، أو الوقت الذي تفرضه عليّ ظروف الراوي الذي أقوم بالتوثيق منه، وكذلك الأدوات المستخدمة في الجمع والتوثيق، ألخص بعضها في النقاط الآتية: أتلفت كاميرا الفيديو بعض الملفات، وكنت قد اعتمدت عليها، ولم أستخدم الجهاز الصوتي لوجودي بمفردي. رفض بعض الرواة التسجيل لهم بكاميرا الفيديو، والاكتفاء بالتسجيل الصوتي، خاصة عند التسجيل مع الحريم، وقد ترفض الراوية التسجيل معها صوتاً وصورة، فأقوم بتدوين ما تقوله كتابةً. تأجيل بعض المواعيد وفي بعض الأحيان إلغاؤها، لانشغال الدليل، أو عدم استطاعتي الوصول إليه، خاصة في حالة الأماكن التي أقوم بالذهاب إليها لأول مرة، فهي بالنسبة لي غير معلومة. تعطلت الكاميرا أكثر من مرة، إما لكثرة الاستخدام، أو نتيجة الاستخدام الخطأ من الباحث، نتيجة العجلة التي تفرضها اللحظة، مما عطل الجمع بعض الأيام. ألغيت بعض المواعيد لظروف الرواة، مما عطل الجمع في تلك الأيام المحددة للقاء بهم، وفي

> تلاحم الثقافة الرسمية والشعبية يجعل من الصعب اختراقها





بعض الأحيان تعطل الهدف من الرحلة بكاملها، مما اضطرني إلى أن أستفيد من الوقت بتسجيل وتصوير كل ما أجده من مادة شعبية متاحة، لم يسبق لي أن رتبت لها. فعلى سبيل المثال لا أنسى رحلتي للعقال البحري، لعمل لقاء مع عم عوض، وهو رجل تعدي الـ93 سنة، رحّالة ونسّابة وتاجر جِمال، لديه مخزون كبير مما يحفظه من أدوار وحكايات ونوادر وذكريات، وخبرته في مجال الترحال ومعرفة الأنساب، هذا الرجل عرفت عنه الكثير، من خلال تسجيلي مع أحد أقاربه، ويدعى معتز محمود، وعندما رتبت لقائي معه من خلال معتز، وكان الموعد في اليوم الرابع لعيد الأضحى، ولأنني اعتمدت على الدليل اعتماداً كلياً، فقد أجّلت اللقاء إلى ما بعد العيد، ولكن الدليل لم يخبر عم عوض الذي كان ينتظرني طوال اليوم الرابع للعيد، ولمّا لم أحضر، أخذه ابنه الذي يقيم في سمالوط/ المنيا، وسافر في صباح اليوم الخامس قبل أن أذهب إليهم بنحو 5 ساعات، فقمت باستغلال هذه الرحلة في جمع مادة من قرى: العقال البحري/ البداري، بني زيد الأكراد/ الفتح/ أسيوط.

**- هل للحواديت الشعبية التي مازالت تحكى في مصر حتى الآن امتداد تاريخي؟**

أكيد للحكايات امتداد تاريخي، فالحكي واحد من أهم الفنون التي يعشقها المصريون على مر التاريخ، ويتناقلونها جيلاً بعد جيل، فهناك الكثير من الحكايات المصرية القديمة التي لايزال المصريون يحكونها حتى الآن، لكن بروايات مختلفة، تؤكد على العناصر الثقافية التي تنسجم مع ثقافة الجماعة، وتتجاهل العناصر الأخرى التي تختلف مع ثقافتها، منها حكايات: الأمير المسحور أو المحتوم القدر، الأخوين، إعماء الصدق، حكايات الفلاح الفصيح، وغيرها من الحكايات.

**- أهم النتائج التي خرجت بها من هذا المشروع؟**

نظراً لأن الثقافة الشعبية لها سطوتها وتأثيرها في الجماعة، فإنه لابد من الاستفادة منها في توجيه أو تغيير أو خلق سلوكات إيجابية في المجتمع؛ أي القيام بأعمال تربوية، من خلال تلك الثقافة الشعبية، والحكاية الشعبية واحدة من تلك الأصناف التي تسهم بشكل كبير في تنمية هذه السلوكات التربوية عند الأطفال، خاصة أن طبيعة هذا المجتمع الريفية تجعله أكثر استقراراً من المجتمع الحضري؛ ولذلك فهو يمثل منبعاً ثرياً يمكننا من خلاله دراسة النظم الاجتماعية، وتحقيق الهدف التربوي، فنلاحظ أن الجماعة الشعبية تستعيض عن ظلم الواقع بواقع آخر بديل، يخلقونه في إبداعهم الشعبي.

> الباحث يواجه صعوبات عديدة، لكن عليه التغلب عليها مهما تكن

خريطة توضح قبائل عرب الصباح ومنها جماعة الجرف - إقليم الرشيدية (معالجة الباحث)

# دار القبيلة لدى عرب الصباح

تعدّ قصور[1] الجنوب الشرقي بالمغرب مكوناً تراثياً معمارياً واجتماعياً أصيلاً، وتوجد ضمن مكوناتها المعمارية مؤسسة اجتماعية، تتمثل في «دار القبيلة»، التي لاتزال تصارع الزمن من أجل البقاء وأداء أدوارها، رغم التغيرات الاجتماعية، وسنحاول في مقالنا هذا إلقاء الضوء على دار القبيلة بقصر أولاد غانم – عرب الصباح – جماعة الجرف إقليم الرشيدية.

د. يحيى لطف العبالي
باحث وأكاديمي بالتراث

**دار القبيلة التعريف والتوطين:**

دار القبيلة مكون معماري مهم من المكونات العمومية للقصر، وهي من المؤسسات الفرعية التي استندت إليها الواحة في تنظيم شؤونها، وتتميز بوقوعها عند المدخل الرئيس للقصر[2]، وتكون مهمتها استقبال اجتماعات تدارس مشكلات القبيلة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحلها، ولأن قصور الجنوب الشرقي متعددة الإثنيات سيكون حديثنا عن قبائل

صورة جوية لقصر أولاد غانم (معالجة الباحث)

عرب الصباح بإقليم الرشيدية جنوب المغرب، وهم العرب الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية، واستقروا بالمناطق الواحية الموجودة بالقرب من ضفة واد غريس، وحسب التقسيم الإداري الحديث، تصنف هذه المناطق وفق ثلاث جماعات، هي: الجماعة الحضرية الجرف، والجماعة القروية فزنا، ثم الجماعة القروية عرب الصباح غريس[3]، كما يوجد فرع آخر لعرب الصباح على واد زيز، وتقع جماعة الجرف، حسب التقسيم الإداري، بين مدينة أرفود والجماعة القروية فزنا، وتحدها شمالاً الجماعة القروية الرتب، وتتعدّد بهذه الجماعة، كما بغيرها، القصور، ويهمنا هنا قصر أولاد غانم، ودار

مجلس دار القبيلة أولاد غانم الواجهة من الداخل

بعض المسنين من سكان القصر بجوار دار القبيلة للحديث اليومي

القبيلة فيه، وقد عرف القصر هجرة كثير من السكان، سواء هجرة خارجية للاغتراب، أو داخلية بمدن المغرب المختلفة، كما لجأ بعضهم إلى البناء الحديث خارجه، وهو ما أثر في كثير من منشآته الأصيلة، حيث لم تعد تستوطنه داخلياً إلا بعض العائلات الأصلية، وأسر فقيرة نزحت من مناطق أخرى.

**دار القبيلة العمارة والوظيفة:**

تشكل دار القبيلة جزءاً من مكونات القصر بإحدى زواياه، تلي المدخل الرئيس، ومنذ بضع سنوات تمت توسعة المبنى الأصلي، وأقيمت بدلاً منه دار قبيلة حديثة، تعاوناً بين الأهالي وأحد التجار من أبنائها[4]، وروعي في ذلك احترام الطراز المحلي بالنسبة للون، والحفاظ على العناصر المعمارية، وإن حلت بدل مواد البناء التقليدية مواد عصرية.

تتكون الدار من ثلاثة طوابق: الطابق الأرضي، وخصص للحفاظ على «المصرية» بالدارجة المحلية، وهي الفضاء المباشر بعد المدخل الرئيس للقصر، بها يوجد بهو فسيح، تصطف على جنباته مصطبة مرتفعة كمقعد متمدد لمسنّي القبيلة؛ لمناقشة مراسيم تدبير القصر، أو استقبال الضيوف[5].

وقد لاحظت أنها استراحة للمسنين والمسنات؛ للجلوس وتجاذب أطراف الحديث، كما يستفيد منها الأطفال، كونها موضعاً مظللاً من الشمس للجلوس والاستراحة بعد جهد اللعب في الساحة الخارجية للقصر.

ويشمل الدور الأرضي أيضاً ساحة صغيرة للفعاليات الاجتماعية، يتم بلوغها من البوابة الثانية لدار القبيلة؛ وترتبط هذه الساحة بمدخل خاص إلى «المصرية»، حسبما تبرزه الصور.

أما الطابق الأول فخصص لشغل ديوان واسع للاجتماعات المعتادة للقبيلة، ولحل مشكلاتها الاجتماعية، ولعل أهمها موضوعات السقي بالخطارات، التي تعد تقنية مائية تقليدية راقية، تناظرها في الجزيرة العربية الأفلاج.

ونظراً لكبر حجم المجلس، فهو يستغل حالياً –

دار القبيلة أولاد غانم الواجهة من الخارج وتتضح المداخل (تصوير الباحث)

قبيلة تطل على فناء الاحتفالات (تصوير الباحث)

تصوير مكان جلوس شيوخ القبيلة (تصوير الباحث)

إضافة إلى الاجتماعات – لإحياء مناسبات سكان القصر، من أعراس وعزاء، كما تستقبل فيه ضيوفها.

توكل مهمة الإشراف على دار القبيلة إلى «مول الساروت» (أي صاحب المفتاح)، وهو أمين خاص، يتم اختياره من بين الشخصيات المعروفة بالاستقامة والنزاهة والأمانة، ويتمتع بكامل الحرية في تدبير شؤون الدار[6].

أما الطابق الثالث فقسم إلى جزأين: الجزء الأول يضم غرفتي نوم ومطبخ وحمامين، والجزء الآخر سطح بتجواب (جدار)، مرتفع بنحو متر، وقد نزلت ضيفاً لمدة ثلاث أسابيع بدار القبيلة هذه أثناء متابعة تحريات ميدانية بخطارات الجرف العام المنصرم، ولاحظت أن الدار ملاصقة لمبنى الزاوية التيجانية من الجهة الخارجية، ولا يفصلها عن المسجد غير بضعة أمتار.

ولعل أهم ما تحقق لي من تلك الإقامة هو فرصة اللقاء بمسنّي القصر كل صباح، من الساعة العاشرة حتى وقت أذان الظهر، حيث يكون التئامهم بجوار دار القبيلة من الخارج، ويجلسون مع بعض بشكل يومي؛ لتجاذب الحديث، وهو ما يعطي الباحث فرصة الظفر اليومي في هذا التوقيت برواياتهم، وبإجراء المقابلات الشفوية بشأن الموضوعات التراثية المختلفة.

---

1- القصر: صنف من السكن تشتهر به الواحات الجنوبية للمغرب، ويمتد هذا النمط على هوامش الصحراء الكبرى بليبيا وتونس والجزائر، وهو مجمع معماري يمثل نمطاً فريداً من حيث الشكل والمضمون. يتكوّن القصر من بناء مسور خارجي، تتخلله أبواب رئيسة، وتتوسطه ساحات عمومية، وأزقة، ومسجد، ومصلى، ودار القبيلة؛ وتتوزع في أحيائه منازل أغلبها بطابق واحد، وبعضها بطابقين. أيت حمزة، محمد، مادة قصر، معلمة المغرب، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1989، ج 19، ص 6638- 6639.

2- أميلي، حسن، تازارين أيت عطا مسار واحة مروضة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، 2017م، ص 174.

3- السعيدي، عبدالرزاق، واحة الجرف (تافيلالت) بالمغرب: التراث الثقافي والفني، مقاربة تاريخية لثقافة وفنون الهامش، مستلة من مقال مقبول للنشر بمجلة الموروث، ص 2.

4- أفادني بذلك الأستاذ لحسن لمراني، أحد وجهاء الجرف.

5- أيت حمزة، مادة قصر، مرجع سابق، ص، 6639.

6- أميلي، تازارين أيت عطا مسار واحة مروضة، مرجع سابق، ص 175، وصاحب الساروت (مفاتيح الدار) حالياً هو عبدالغني صغيرين – شيخ خطارة العيساوية.

# قلعة دبا الحصن

## شاهدة على عراقة المدينة وتاريخها

دبا الحصن، مدينة هادئة تقع على الساحل، عُرفت في التاريخ، وكانت موطناً رئيساً للهجرات التي وفدت إلى الخليج العربي من اليمن، وقد أسهم موقعها الجغرافي المهم في دعم مكانتها التجارية على المحيط الهندي.

أهم ما يميز هذه المدينة «قلعة دبا الحصن»، الشاهدة على عراقة المدينة وتاريخها، وتُعدّ سجلاً تاريخياً، عرفها العلماء والتجار والقادة والحكام منذ آلاف السنين، وحملت تفاصيل حياة المدينة وما حولها، سكن الناس فيها، ولجؤوا إليها وقت الحروب، وأقاموا فيها أسواقهم، فباعوا واشتروا.

تحكي «قلعة دبا الحصن» تاريخ المدينة العريق، وتعبّر عن الأحداث التي مرّت بها المنطقة، كما تتميز بطابعها الهندسي، وموقعها المتميز في أعلى تلال المنطقة.

كانت دبا معبراً لطرق التجارة الدولية، تعبرها القوافل التجارية، من وإلى الجزيرة العربية والخليج العربي، صمّمت «قلعة دبا الحصن» لتكون منطلقاً لحماية المنطقة وسواحلها، وقد بنيت القلعة من الحجارة والطين والجص، يعلوها برجان، أحدهما من جهة الجنوب الغربي، والآخر في الشمال الغربي، ويتوسط السور من جهة الشمال مربعة، كما توجد مربعة صغيرة في الشمال الشرقي.

كان سور القلعة يضم أربع غرف؛ اثنتين في الأسفل، ومثلهما في الأعلى، كما يوجد داخل القلعة بئران، إحداهما في الجهة الغربية إلى جانب البرج، وبالقرب منها شجرة سدر كبيرة، والأخرى من جهة الشمال الشرقي، بالقرب منها أيضاً شجرة سدر أخرى، وإلى جانبهما مسجد متوسط الحجم.

بنيت المربعة (الحصن) في الأعلى بين البرجين الغربيين في الستينيات بعد تهدمهما، بهدف المراقبة والتحكم، وإبلاغ السكان بالأحداث، كدخول رمضان





أو العيد، أو حدوث شيء مهم وعاجل، عن طريق إطلاق النار في الهواء.

وتحيط بالقلعة المطلة على ساحل البحر، مجموعة من الأبراج؛ واستخدمت لحماية المناطق الزراعية، والسواحل البحرية للمنطقة، التي شكّلت في الماضي عصباً اقتصادياً لجميع السكان، كما في الدفاع عن الأرض والإنسان.

وللقلعة مدخلان، واحد كبير من جهة الجنوب الشرقي، وهو عبارة عن باب ضخم مصنوع من الخشب، يسمى باب «الصباح»، ويشرف على البحر، وهو مسقوف من «الكندل»، وعلى جانبه جلستان، والثاني مدخل صغير من جهة الجنوب الشرقي، وأمام القلعة من جهة الشرق «تخوت»، وهي مجالس طويلة مسقوفة من السعف (الدعن)؛ لجلوس الولاة والحكام في أيام الصيف؛ لقضاء حاجات أهالي المدينة، ويحضر هذه الجلسة الوالي، وعدد من الأعيان، والقاضي. وكان من مهام القاضي أيضاً، آنذاك، الخطابة في المسجد، وفي ذلك الوقت لم يكن في «دبا الحصن» سوى جامع واحد كبير، يؤمّه المصلون من جميع أرجاء المدينة.

وكانت القلعة، التي تعد إحدى علامات العمارة التقليدية في الإمارات، تستخدم سابقاً سكناً للحكام والولاة الذين تعاقبوا على حكم «دبا الحصن»، ومنهم الشيخ حميد بن عبدالله القاسمي، والشيخ صقر بن عبدالله القاسمي، رحمهما الله.

اكتسبت «قلعة دبا الحصن» أهميتها لأنها كانت قديماً مكاناً يلتقي فيه أبناء المنطقة بالحكام والولاة؛ لمناقشة كل ما يتعلق بأمور حياتهم. وقد كانت المدافع تطلق احتفالاً بالعيد عند وصول المصلين من المواطنين من المصلى، الذي كان خارج المنطقة، ولقائهم الوالي الذي يصلي مع العسكر داخل الحصن، فيتناولون الطعام في الحصن.

كما كانت مكاناً لإقامة الاحتفالات، طوال أيام العيد الثلاثة، أمام ساحة القلعة، التي يحيط بها من جهة الجنوب سوق دبا الحصن القديمة، إحدى أكبر الأسواق بالمنطقة، بينما تحيط بها من الغرب والشمال منازل أهالي المنطقة ومزارع النخيل.

وتمنح «قلعة دبا الحصن» الناظر من فوق أحد أبراجها مشهداً طبيعياً خلّاباً للمنطقة المحيطة بها، ورغم اختفاء بعض أجزائها وملامحها الرئيسة، إلا أن بناءها الجميل المتماسك حتى الآن يعطي انطباعاً عن متانة البناء في الماضي وقوته، وكل جزء فيها ينبض بالحياة والأصالة، وتحمل بين جنباتها عظمة أجدادنا ومجدهم، وصبرهم على الظروف القاسية.

# رجل النور

للحاكم الدور الأهم، والمساحة الكبرى في ارتقاء الوطن والشعب، فإن كان الحاكم مولعاً بالعلم، مشجّعاً له، ومهتمّاً به، فمن الطبيعي أن ينعكس ذلك على ارتقاء الشعب والوطن، حيث سيصبح الشعب واعياً مثقفاً، قوياً مُدركاً، وسيتطوّر الوطن، ويتقدم نحو التألق والازدهار والقوة.

حسين الراوي
كاتب من الكويت

كل هذا بسبب الدور المهم لتأثير شخصية الحاكم في إدارته كل من تحت سُلطته... وصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم إمارة الشارقة، منذ اليوم الأول لتوليه حكم الشارقة، في 25 يناير 1972، دأب بعزم وجهد على بذر النور في أرض الشارقة وما يتبعها، وسقاه بالحرص والمتابعة، والرأي والمشورة، حتى أخذت بذور النور تلك، وعلى مدار سنوات متتالية، تنبت وتنمو وتكبر، وترتفع قامتها، وتثمر، حتى كوّنت مساحات خضراء يانعة وشاسعة، وفي كل اتجاهات الشارقة، فأصبح يُشار إليها عربياً وعالمياً بالبنان، كنموذج راقٍ عن التقدم والتطوّر في حقول الحياة كافة.

ولأن سموه أدرك في وقت مبكر أهمية دور الكُتب كمنبع للعِلم، ووعاء حافظ لها، أبدى اهتماماً شديداً بطباعتها ونشرها وتوزيعها، حيث قام بالتوجيه بإنشاء مدينة الشارقة للنشر، وكذلك وجّه إلى العناية الفائقة بالمكتبات العامة في الشارقة، وتحديث محتواها المعرفي، وتزويدها بآخر الإصدارات بشكل دوري.

ووجه كذلك بضرورة الاهتمام بالمؤلفين والناشرين، حتى باتت الشارقة تحتضن العديد من المؤسسات الثقافية الداعمة لهم، مثل جمعية الناشرين الإماراتيين، واتحاد كتّاب وأدباء الإمارات، وغيرهما من المؤسسات والجهات التي تعنى بالمؤلف والناشر.

وقامت كذلك الشارقة بتبنّي سلسلة من المبادرات والمشاريع الثقافية، حيث وزعت في مبادرة «ثقافة بلا حدود» عدد 42 ألف مكتبة على الأُسر الإماراتية.

وأطلقت الشيخة بدور بنت سلطان القاسمي، مبادرة «كتابي الأول»، التي استهدفت الأمهات في أكثر من 60 مركزاً صحياً وطبياً في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وتستحق إمارة الشارقة عن جدارة، بعد كل ذلك الذي حققته في مجالات التقدم والازدهار والتطور، أن تنال لقب عاصمة الثقافة العربية لعام 1998، وعاصمة الثقافة الإسلامية لعام 2014، وعاصمة السياحة العربية لعام 2015، وبعد ذلك نالت بكل استحقاق لقب العاصمة العالمية للكتاب لعام 2019، حيث اختارتها اللجنة الدولية لعواصم الكتاب العالمية في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، تقديراً لدورها البارز في دعم الكتاب، وتعزيز ثقافة القراءة، وإرساء المعرفة كخيار في حوار الحضارات الإنسانية.

ولسمو الحاكم العديد من الكُتب، منها: «إنّي أُدِين»، و«رحلة بالغة الأهمية»، و«سيرة مدينة» - جزأين، و«تأسيس وتنظيم قوة شرطة الشارقة»، و«تحت راية الاحتلال»، و«القواسم والعدوان البريطاني 1797 - 1820م»، و«مراسلات سلاطين زنجبار»، و«حديث الذاكرة» - 3 أجزاء، و«سرد الذات».

وهذا كله ليس بمستغرب على رجل النور، الذي دأب لسنوات طويلة يبذر النور في طريقه أينما اتجه، ويُكرّس حياته من أجل رفعة بلاده والارتقاء بها نحو المجد.

# الأمريكي الذي بات شيخاً

استطاع صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، بخبرته وعلمه وتخصّصه، الاستفادة الكبيرة من تخصصه في التاريخ، ومعرفة أحداث المنطقة، عبر تلك الثقافة الغزيرة، التي أسهمت في بناء هذا النص التاريخي، الذي يشكل جزءاً من تاريخ المنطقة المهم من جانب توثيقه، وتقديمه للأجيال المتلاحقة، التي ينبغي عليها معرفة تاريخ منطقتها.

د. فهد حسين
البحرين

لقد أسهم في رفد الثقافة والأدب العربيين بالعديد من المؤلفات والإصدارات، التي تنوّعت بين الكتابة التأريخية، والنصوص المسرحية، والأعمال الروائية، وغيرها من فنون الكتابة، ومن تلك الأعمال الإبداعية، روايته «الشيخ الأبيض» الصادرة في عام 1996، في طبعتها الأولى، وفي عام 2013، في طبعتها الثانية، عن منشورات القاسمي بالشارقة.

وفي الرواية ثقافة تاريخية وسجل توثيقي مهمين، لما كانت عليه المنطقة المعنية بأحداث الرواية، حيث فيها إشارة مهمة جداً إلى وجود الأقوام والجنسيات المختلفة في منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج، ووقفت الرواية على نسج الأحداث، ونموها، والحضور الذي برز مع القرن السابع عشر كان قادماً عبر قنوات كثيرة، ربما عن طريق السفن التجارية، التي عادة ما ترسو في موانئ عمان واليمن وساحل الخليج العربي، وربما عن طريق تجارة الرقيق، أو زيارة الحرمين بغية الحج، أو عن طريق التبشير، بمعنى هناك أسباب كثيرة أسهمت في حضور الآخر، واستقراره في المنطقة، وهنا تشير الرواية إلى عبدالله بن محمد بن عقيل، الذي جرح في الحرب التي وقعت لاسترداد بلدة (المرباط) سنة 1836، وهي منطقة عمانية تقع على ساحل محافظة ظفار، وأخذ لتضميد جراحه، حيث ذهبت به الذاكرة لاستحضار الماضي وأصوله، والدواعي التي أوصلته إلى ظفار، وحينما سئل عن أصله، قال عبدالله: «إنه جوهانس هيرمان بول، أمريكي الأصل، وإنه وأباه من أصل هولندي، ومن مدينة (سيلم) بالولايات المتحدة الأمريكية»، ص7.





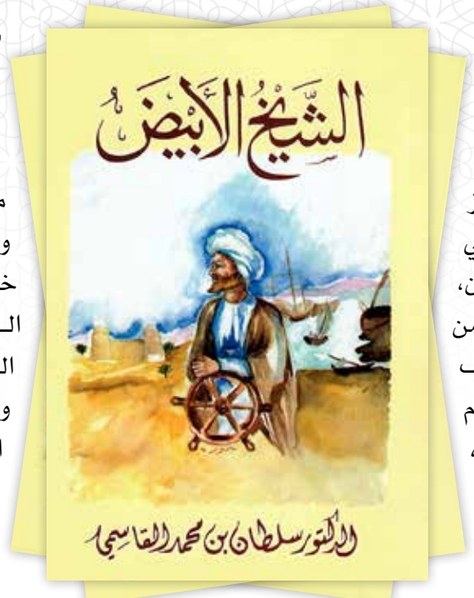


وأخذت الذاكرة تصحبه إلى الماضي، وركوبه سفينة «إيسكس»، التي ستبحر من أمريكا متجهة إلى (المخا)، إحدى مدن محافظة تعز اليمنية، بغية التجارة التي يطلبها السيد وليام أورن، وكسب المال، حيث طلب من ابن أخيه القبطان جوزيف أورن قيادة السفينة، والقيام بالمهمة المنوطة به، وفي هذه الأثناء كان جوهانس هيرمان بول لايزال طفلاً في التاسعة من عمره، حينما ركب السفينة عاملاً متدرباً، هكذا «وصلت السفينة ميناء عدن في بداية شهر مارس من سنة 1806»، ص11.

كما تسلط الرواية الضوء على النزاعات التي كانت قائمة بين الدول الاستعمارية، في المنطقة الممتدة من شرق شبه الجزيرة العربية حتى غربها وجنوبها، الأمر الذي تمظهر في رغبة الفرنسيين في إقامة مستعمرة لهم في جنوب البحر الأحمر، «ففي أكتوبر من سنة 1805، وصلت أنباء إلى الدكتور (برنغل)، المقيم البريطاني في المخا، بأن السيد محمد بن عقيل، أحد سادة العلويين في ظفار، والتاجر المعروف في البحر الأحمر، قد اتفق مع الفرنسيين على تأسيس وكالة لهم في جزيرة كمران»، ص14، وهو ما سعت بريطانيا لمواجهته، فالنزاعات بين فرنسا وبريطانيا في المنطقة العربية والإفريقية كانت قائمة بين البلدين اللذين يسعيان للاستحواذ على مقدرات هذه المنطقة، وتقييد شعوبها بالمعاهدات من جهة، والإسهام معها في تقاسم التجارة والثروات المتعددة، حيث سعى الدكتور برنغل، من خلال زيارات مكوكية، ولقاءات، ومحادثات تؤكد خطر الوجود الفرنسي، والدور الذي ستقوم به لمحاصرة التجارة وضرب الاقتصاد، وتطور الوضع، بحيث بدأت السلطات البريطانية في الهند تعد العدة لهدم ما بناه السيد محمد بن عقيل في كمران، وهو ما حصل بعدما أعدت الخطة لذلك، غير أن معرفة السيد محمد بن عقيل بالأمر، جعلته يتوجه إلى كمران، والتأكد من المعلومات التي وصلت إليه، وهناك تغيرت أمور كثيرة، حيث قتل السيد محمد كل من كان سبباً في حرق وتخريب ونهب ما وضعه، إذ أعد خطة محكمة لقبطان سفينة إيسكس ونائبه والبحّارة كلهم، وقتلهم جميعاً، وأحرق السفينة، وما بقي هو الطفل بول، الذي أخذه ابناً له، وغيّر اسمه إلى عبدالله بن محمد بن عقيل، وحيدر الذي تظاهر بأنه كان قد طلب من قبطان السفينة مساعدته للوصول إلى المخا. انظر ص 25 – 32.

ولكن بعد هذه الأحداث بات السيد محمد بن عقيل مطلوباً للسلطات البريطانية، وأينما ذهب فهو غير مرحب به، مادامت بريطانيا غير راضية عنه، بل حتى السلطات الفرنسية، وبعد معرفتها بأن السيد محمد بن عقيل قتل القبطان الفرنسي (غاسبارد)، الذي كان

يقود سفينته، غضبت عليه، وطالبت بالقبض عليه، وهذا ما يؤكد المصالح التي تسعى إليها كل الدول الاستعمارية، في أي منطقة من مناطق العالم، ولكن بهذه المطاردات، ورفض المدن والموانئ استقباله، أو البقاء فيها، جعله في نهاية الأمر يسعى «للانتقال إلى بلدة مرباط في أقصى إقليم ظفار، واستقر هناك، بعد أن بنى بلدة محصّنة، تزداد ثراء بسرعة فائقة، وسفنه تجوب البحار ناقلة تجارته من بلد إلى بلد»، ص46، وهنا يؤكد الكاتب أن أبناء المنطقة ليسوا كما يتصورهم الغرب، بأنهم لا يعون الحياة، ولا يفقهون في تدبير حياتهم العامة والخاصة، والتجارية والسياسية، بل هم قوم لهم تاريخهم وحضارتهم، وثقافتهم التي لها وقع على مسيرة تاريخ المنطقة، والمحافظة على ثرواتها، ولكن في الوقت نفسه كان التعليم الذي يعدّ البوابة الرئيسة التي يعبر منها إنسان المنطقة إلى خوض غمار الحياة والتاريخ، التعليم الذي لم يكن بالمستوى المطلوب آنذاك، مما جعل الآخر يقتنص هذه المعضلة في حياة شعوب المنطقة، ويسعى للسيطرة على مقدراتها.

واستمرت حياة السيد محمد بن عقيل بين جذب ونفور من قبل السلطات المسيطرة على الموانئ والمدن، وعلى الرغم من ذلك استطاع أن يكوّن علاقات طيبة مع محمد علي باشا، ومع شريف مكة العثماني، ومع بعض المتنفذين في مدن اليمن، وحكومة بومباي. إلا أن الموت كان له بالمرصاد، حين جاءته رصاصة مباغتة «ففي ليلة من ليالي رمضان من سنة 1829، كان السيد محمد بن عقيل في طريقه عائداً من مرباط إلى صلالة في حراسة عدد قليل، وإذا برصاصة تنطلق من وادي الدمر، (وهي منطقة سكنية تقع في مرباط)، وتصيبه إصابة بليغة.. وكان مدبر الاغتيال هو الشيخ سالم بن ثوري، زعيم القرا، انتقاماً لمقتل أحد أقربائه»، ص66 – 67، ومع استمرار ابنه في عمله البحري، وخسرانه ما بناه أبوه السيد محمد بن عقيل في ظفار عامة، ومرباط خاصة، عاش مستوراً حتى استطاع الانتقام لمقتل أبيه، ولكن فقد نظير هذا الانتقام ابنيه محمد وأحمد، وأصيب هو في فخذه، لكنه أصبح شيخ القرا، وبات يعرف بالشيخ الأبيض، وعاش فيها حتى وفاته.

وظّف الكاتب تقنية السارد العليم، العارف بكل تفاصيل المنطقة، وتاريخها، وأحداثها، والشخصيات التي مرت عليها، إذ لم يدوّن شيئاً يتعلق بالمعلومة التاريخية، إلا كان موثقاً في الذاكرة التاريخية التي يمتلكها الكاتب، كما جعل النص، على الرغم من صغره، وثيقة سردية تاريخية، تهم الباحث ودارس شؤون المنطقة التاريخية والسياسية والاجتماعية، وفي الوقت الذي تقرأ هذا التاريخ، فإنك تقرأ نصاً بلغة سلسة سهلة التناول، بعيدة عن التعقيد والفذلكة اللغوية التي يلجأ إليها بعض الكتّاب؛ لذلك فالرواية مهمة لنا نحن جميعاً في المنطقة؛ لمعرفة تاريخنا، وما طرأ عليه من تغييرات، أما الجانب الآخر، فإن الكاتب بيّن تواصل المنطقة بالشعوب الأخرى؛ ليدلل ليس على حضور الأقوام والشعوب فحسب، بل على قدرة الإنسان حين يعطي المكان جزءاً من حياته، وكيف يكافأ هذا على ما أنجزه، أو حافظ على انتمائه وولائه، وهو ما حدث لهذا الطفل الأمريكي، الذي غيّرت الأقدار تاريخ حياته، وطبيعة عيشه، ودياناته، وحضوره في سجل التاريخ.

# تلويذة البخور



د.محمد الجويلي
أكاديمي – تونس

للبخور مكانة متميّزة لدى العرب والمسلمين، وله صلة وثيقة بحياتهم اليوميّة، وبطقوسهم وعاداتهم. يُستعمل البخور في المعتقدات الشعبيّة العربيّة لإبطال مفعول السحر، أو للوقاية منه، ولإبعاد الأرواح الشرّيرة وطردها، كما يُستعمل لاستئصال مفعول الحسد في الجسد، فإلى حدّ عقود قليلة مضت، كان يسود اعتقاد – في تناقص مستمر اليوم – في بعض البوادي والأرياف في المغرب العربي، أنه عندما يظهر خاصة على الصبيّ نحول واصفرار في الوجه، أو ألم مفاجئ وغير مفهوم، في غياب الرعاية الصحّية اللّازمة، أنّ مسّاً من الجنّ الشرّير قد أصابه، أو أنّ عين حسود قد رمقته ورمته بسهم فصيّرته عليلاً. وهنا تعمد الجدّة في العادة، أو امرأة مسنّة من الأقارب ذات بركة وتواضع في قومها على كفاءتها وقدرتها – «معطيلها» بالتعبير الشعبي؛ أي أعطاها اللّه تعالى قدرة لاستئصال العلّة من الجسد – إلى وضع الصبيّ في حجرها، ثمّ الاستنجاد بحبل سميك أسود اللون، مصنوع من شعر الماعز، يُسمّى «الريّ»، تمسكه بيدها اليمنى، وتديره فوق رأسه في حركة متتابعة، وهي تتمتم مردّدة في سجع بعد أن يتعالى دخان البخور من الموقد الملتهب حولها: «الوشق والداد في عيون الحسّاد»، «الوشق والفاسوخ في عين الممسوخ»، وهي في أشبه ما يكون بصلاة وابتهال، تطلق من حين إلى آخر تجرّعاً ينبعث من ملء فؤادها، وقد يسودّ وجهها، وتُصاب برعشة، وتيبس في يدها إلى أن تنتهي من هذه «التلويذة»[1]، كما يُطلق عليها مثلاً في الجنوب التونسي، ولها تسميات أخرى تختلف من جهة إلى أخرى في المغرب العربي، ولا يخفى هنا اشتقاق تسمية هذا الطقس الطبي الشعبيّ من فعل «لاذ»، دلالة على حركة الحبل الذي يلوذ في حركة متواترة برأس الصبيّ، أو لربّما على الطقس برمّته، باعتبار لوذ المريض بهذه المرأة الصالحة طلباً للفرج بعد الشدّة. ولا يمكن فصل البخور عن رائحته، وللرائحة كما يؤكّد الإنثروبولوجيون تاريخها الذي لا يمكن فصله عن صيرورة إدراك الإنسان محيطه عبر حاسة الشمّ. وإذا كان العالم ينشطر في الوعي الإنساني إلى محورين: الخير والشرّ، وعنهما تتولّد ثنائيات الجمال والقبح، الحبّ والكره، الفضيلة والرذيلة، العطر والكريه، فإنّه لا يمكن أن نفهم استعمال البخور إلّا بهذه الرغبة في قهر النتن والكريه والعفن، في دلالتيه المباشرة والرمزيّة، من أجل خلق وجود أجمل. ويظلّ البخور الذي مازال ينبعث من كلّ بيت عربيّ، ومع كلّ عيد واحتفاليّة من المحيط إلى الخليج، مظهراً من مظاهر التوحّد الثقافي، وعلامة انتماء وهويّة.

1– مصطلح شعبي، لكن جذره عربي فصيح من «لاذ» بمعني الإحاطة والتحصّن كذلك.

# الخرافة وروافد بناء الحضارة

يشبّه علماء العلوم الاجتماعية المجتمعات البشرية بالطفل في وعيه ثم نموه وإدراكه، ويعدّون أن كل مجتمع يمر بمراحل عمرية عدة، تشبه لحد كبير مراحل عمر الإنسان الذي يبدأ بالولادة. لكن المجتمعات لا تموت مثل الإنسان، بل يفترض بها التجدّد والنمو والمعرفة التي يتوارثها جيلاً وراء جيل.

فاطمة سلطان المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

عمر المجتمعات يختلف عن الإنسان، فبينما أعمارنا تقاس بالسنوات، فإن المجتمعات تقاس أعمارها بمئات السنين، بل بالآلاف؛ لذا تعدّ الدراسات والبحوث في أي مجتمع بعمق ودقة بحوثاً طويلة، تحتاج إلى جملة من الأدوات والمصادر والمراجع، حتى تلمّ بكل تفاصيلها، ومختلف التواريخ التي مرت بها، وهذا العمق الزمني الذي تعيشه المجتمعات ينتج عنه كثير من المخترعات والمبتكرات،





وطرق الحياة، والأساليب المتنوعة، وكثير من العلوم والمعارف والمعلومات التي انتقلت من جيل إلى جيل آخر؛ التاريخ البشري في مجمله حمل كثيراً من المفاتيح والدروس والمعلومات، وكشف أيضاً عن طبيعة الإنسان، والغريزة التي وجدت في عمقه وداخله، وهي تلك المتعلقة بالسعي نحو الرفاه، وإيجاد الوسائل والطرق التي تساعده على تحقيق الأمن والعيش الرغيد، وأيضاً القوة والتفرد على كوكب الأرض.

إن عدنا إلى التاريخ البشري القديم، بل إن رجعنا إلى الزمن السحيق، وطالعنا الكشوف التي اكتشفها العلماء من الأحافير والآثار، فسنجد ملامح مثل هذا السعي البشري، وهو ما يدل على رغبة متأصلة في عقل كل إنسان، تنمّ عن تصوره للحياة، وطريقة العيش فيها، والغريب أن الإنسان على طول تاريخه وضع الحلول لكل شيء، حتى تلك المعارف التي استعصى عليه فهمها، وعجز فيها عقله عن تفسيرها، وعجز عن استيعاب ما ترمي إليه، لم يتوقف أو لم ينثنِ أو يعجز، حيث سارع إلى وضع مفاهيم واستنتاجات لا تتجاوز أن تكون خرافات، لقد نسج بكل بساطة الأساطير لتفسير ما عجز عن فهمه، وكأنه وجد ما يريح فيها ذهنه وتفكيره عن كل ما وقف حائراً أمامه من ظواهر طبيعية أو غيرها؛ لذا نجد أن البشرية توارثت مخزوناً كبيراً من الخرافات حتى باتت جزءاً من مسيرة الإنسان ونموه الحضاري في مختلف العصور والحقب الزمنية، بل إنها شكّلت توجهاته الحياتية، وأثرت في قراراته ومبادئه وثوابته، فغيّرها لتواكب تلك الخرافات.

هناك أحداث تاريخية قديمة جداً، أظهرت أن الإنسان كان دوماً يلجأ إلى وضع تفسيرات منطقية أو غير منطقية، للظواهر التي تحدث، والتي في هذا العصر فهمها العلم، لكن في عصور ماضية ضاربة العمق في الزمن، لم يكن العلم حاضراً، فكانت التفسيرات والشروح الخرافية هي البديل. أستحضر قصة الإمبراطور قسطنطين الأكبر، الذي كان يعادي المسيحية ويحاربها، لكن وقعت له قصة أدت إلى أن يعتنق الدين المسيحي، ويتحول كل هذا العداء إلى ولاء وحب، حيث تروي كتب المؤرخين أنه في عام 312م، جاء من يبلغه بحدوث معجزة من الله مرسلة إليه، فخرج لينظر إليها، وقد رأى الصليب معلقاً في السماء بين طبقات الجو العليا، وظهر كأنه يتحرك في السماء، وبعد هذه المشاهدة اعتنق المسيحية، بل تحمّس لها؛ والحقيقة أنه لم يكن في السماء صليب، وإنما هي ظاهرة جوية باتت في هذا العصر معروفة، تحدث بسبب انعكاس ضوء الشمس على الثلوج المتساقطة من بين السحب، وهذا الانعكاس أدى إلى تكون شريطين ضوئيين متعامدين أمام الشمس، فظهر كأنه صليب.

العلم في العصر الحديث أعطى كلمته، وكشف عن هذه الظاهرة التي فسّرت بشكل خرافي في عهود وأزمان ماضية، بينما لا أساس لذلك من الصحة. عقل الإنسان المبتكر المخترع القوي الذكي، يضع البدائل والحلول للإنسان، في كل ما يقف حائراً أمامه، في كل ما يعجز عن تفسيره، وهذه وظيفة العقل، لذا تنمو العقول وتكبر، وتتسع مداركها

ومفاهيمها مع العلم ومع المعلومات، أما إذا ترك العقل مجرداً من الحقائق، ومن دون البراهين والإثباتات، فإنه قد يجنح نحو الخرافات.

وكما قال الدكتور عبدالمحسن صالح، في خاتمة كتابه الذي حمل عنوان، الإنسان الحائر بين العلم والخرافة: «إن العلم إذا دخل من الباب، قفزت الخرافات هاربة من النوافذ؛ لأن العلم يجيء - في أغلب الأحيان - متسلحاً نهجه القويم الذي لا خداع فيه ولا تدليس، ولو كانت لتلك البحوث الخرافية مقومات جادة، ودعامات قوية، بحيث تعطي النتائج ذاتها، مع تكرار التجارب نفسها، لاستطعنا أن نقول إنها تقوم على أساس يتبع نظم هذا الكون وشرائعه، وعندئذٍ قد يعود القصور إلى عقولنا، ولابد - والحال كذلك - أن نطور مداركنا، ونحوّر تجاربنا؛ لنصبح من تلك الحقيقة قاب قوسين أو أدنى».

الذي أصل إليه أن المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، تعدّ علومها ومعارفها





من الألم والبؤس، ووضعت اليد سريعاً على كل ما من شأنه رفعتها وسعادتها، التعاون والسلام والمحبة والتقبل، جميعها قيم ثبت مع مرور الوقت والأزمان أنها حليف قوي للحضارة وللعلم وللنمو والتنمية الناجحة، وأن هذه الوسائل تحقق الرفاه للإنسان، وتقوده نحو السعادة الحقيقية والاطمئنان. نحن في عصر العلم، والكلمة العليا للعلوم ولكل هذا السيل المعلوماتي، وكما هو واضح لا يمكن وقف هذه العملية، ولا الحد من العمومية والانتشار للمعارف، فلندعم هذا التوجه بالمزيد من القوانين الداعية للسلام والأمن والاستقرار، الداعية للتفاهم والحوار.

وتجاربها وخبراتها مشاعة للبشرية بأسرها، لا يمكن لمجتمع أن يحتكرها تحت أي سبب أو لأي غرض. التجربة البشرية وما يضع الإنسان اليد عليه، هما حق عام للناس، خاصة تلك المخترعات والمبتكرات التي تتعلق بالصحة والسلامة والأمن والغذاء؛ لأن هذه الجوانب من مقومات الحياة السليمة، ومن خلال التجربة والبرهان والخبرات المتراكمة بات موثقاً متفقاً عليه، أنه كلما حدث تبادل في المعلومات، وتعاون، اختصرت البشرية

# صيد الحبارى

## تراث عربي وإماراتي أصيل

* فريق الجمع الميداني: أ. عائشة الكتبي – أ. نورة سلطان
أ.حليمة الحوسني – أ. فؤاد القحطاني
* إشراف: قسم البحوث والدراسات – مركز التراث العربي

ضمن اهتمامات مركز التراث العربي بالجمع الميداني لعناصر التراث الإماراتي، قام فريق الباحثين بالمركز بمقابلة أحد الماهرين في فن صيد الحبارى بدولة الإمارات العربية المتحدة، الراوي سيف بن محمد القراع النعيمي، من ساكني عجمان، والذي رافق شيوخ الإمارات في مغامرات القنص، وهو من الذين لايزالون يحملون هذا الفن، ويتقنونه، ويعشقون مغامراته، وممن استطاعوا





بهذا الحب، والتعلق بهذا الموروث ذي الصلة بالبيئة المحلية، أن يورّثوا فنون صيد الحبارى ومعارفها لأولادهم، وهو ما ضمن له استمرارية شهرة العائلة بهذا النوع من الممارسات...

في هذا الملف سنعرّف القارئ الكريم ببعض ما تختزنه مهارة صيد الحبارى من تقاليد وأعراف، وأسرار وطرائف، وتقنيات، انطلاقاً مما جادت به علينا جلسة المقابلة التي أجراها فريق الجمع الميداني مع الراوي سيف النعيمي، لكن قبل ذلك، لا بأس من التمهيد للموضوع، بإطلالة خفيفة على حضور طائر في التراث العربي، ومحاولة النبش في لغز هذا الاهتمام.

**طائر الحبارى في التراث العربي الأصيل:**

الحُبارى: (بضم الحاء المهملة، وفتح الياء الموحّدة) طائر معروف، وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، واحده وجمعه سواء، وإن شئت في الجمع، قلت حباريات، وأهل مصر يسمون الحبارى الحبرج، وهي أشد الطير طيراناً، وأبعدها شوطاً، وذلك أنها تصاد بالبصرة، فيوجد في حواصلها الحبة الخضراء التي شجرها البطم، ومنابتها تخوم بلاد الشام. وهو طائر طويل العنق، رمادي اللون، في منقاره بعض الطول.. (من كتاب حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري 746 – 808 هـ، ص 37)، وفي ذلك يقول الجاحظ إن «الحبارى لها خزانة في دبرها وأمعائها لها أبداً فيها سلح رقيق، فمتى ألحّ عليها الصقر سلحت عليه، فينتف ريشه كله، وفي ذلك هلاكه...». (المرجع نفسه).

يحضر طائر الحبارى في عدد من كتب التراث العربي، بشكل يدعو للتساؤل عن سبب ذلك، فإذا كان تردد ذكره في الشعر العربي مرده إلى عيش هذا الطائر في بيئة الجزيرة العربية، وقربه من حياة وأنماط عيش كثير من شعراء فترة ما قبل الإسلام، فهذا يكفي لتبرير وجوده في ديوان العرب، كما في الأبيات الآتية:

قال الشاعر:

**وهم تركوك أسلح من حُبَارَى**
**رأت صقراً وأشرد من نعامِ**

وقال قيس بن زهير، الشاعر الجاهلي المعروف:

**متى تتحزَّم بالمناطق ظالماً**

**لتجري إلى شأوٍ بعيد وتسبحِ**

**تكن كالحبارى إن أُصيبت فمثلها**

**أُصيب، وإن تفلت من الصقر تسلحِ**

أما في الفترات اللاحقة، فالمتفحص للأدب العربي يجد امتداد هذا الحضور لطائر الحبارى في متون ومظانّ الأدب العربي، كما في كتاب التبيان للأقفهسي، وكتاب الحيوان للدميري والجاحظ وغيرها. وهذا مدعاة للبحث والغوص في طبيعة هذا الحيوان، ومعرفته، ومعرفة أسراره ممن خبر عوالمه، وعشق صيده، وتربيته، فمن طرائف ما كتب عن الحبارى سواء شعراً أو مثلاً.

قول الكميت عن وعيد الضعيف للقوي ممثلاً بالحبارى:

**وعيدَ الحُبارَى من بعيد تنفشت**

**لأزرق مغلول الأظافير بالخضب**

وقال عثمان بن عفان، رضي الله عنه: «كل شيء يحب ولده حتى الحبارى»، يضرب بها المثل في الموق (الحمق في غباوة). من كتاب الحيوان، ج5، مرجع سابق، ص448.

**صيد الحبارى هواية وممارسة إماراتية أصيلة:**

أجريت مقابلة مع الراوي سيف بن محمد القراع النعيمي، في موضوع صيد الحبارى بدولة الإمارات العربية المتحدة، فكان لفريق الجمع الميداني جولات وأسفار، وأخبار طريفة، عبر الذاكرة مع هذا الطائر المهاجر، ورحلات صيده، سواء داخل الدولة أو خارجها. يحكي الراوي أن الشيوخ في الدولة مثل الشيخ مكتوم والشيخ سالم والشيخ صقر، رحمهم الله، في رأس الخيمة، وآخرون، دأبوا على الخروج معهم في رحلات الصيد، وأن حكام الشارقة ودبي وعجمان، عادة ما يحتفظون بقناصين ممن لديهم الخبرة والدراية، وكان ضمنهم والد الراوي (الجراعة)، وفي رحلة الصيد ينتقل الفريق إلى البادية على ظهور الإبل، ويقصدون أماكن فيها





شجر الغاف المظل، ويستعينون في صيد الحبارى والأرانب بالصقور.

ومما تحتفظ به ذاكرة الراوي أن بعض الأماكن في الإمارات قد غطاها البناء والعمران، كانت محضناً للحبارى، كما في إمارة الشارقة في منطقة الياش وواسط، ومنطقة كشيشة في الرحمانية، ومزيرع، وغرب الصجعة، ومنطقة الدري صوب الرفيعة، والزبير، ومنطقة شنوف في البطايح وغيرها... والأمر نفسه مع إمارة عجمان، حيث كان يوجد طائر الحبارى في مناطق الحميدية والجرف والعرقوب الأسود الذي يشغل حالياً ما يسمى بـ«السوق الصيني»، ومنطقة الزوراء.

وبخصوص خبرة الراوي بطائر الحبارى، قال إن هذا الطائر يهاجر، تقريباً، من بداية شهر أكتوبر من العام، قادماً من إيران، عابراً مجال عمان والإمارات، وعودته تكون في شهر مارس، مع انتهاء فصل التكاثر والتزاوج عنده. ومن وحي الخبرة بأسرار الحبارى، أضاف أن لها خط سير واحداً، ذهاباً وإياباً، في العام نفسه، ولها موعد محدد لوقت هبوطها على اليابسة؛ فإذا حلت برحالها وقت الغروب، فإنها تحل في العام نفسه بالتوقيت نفسه. وعن عدد البيض الذي يضعه طائر الحبارى، أفادنا بأنه يضع ثلاث بيضات في السنة فقط، على الأرض، وليس في أعشاش على الشجر.

وعن سؤالنا له عن غذاء الحبارى، أجاب بأنها تأكل على حسب المتوافرة في البيئة، والطعام المتوافر في المكان، فعادة ما يكون أكلها الرئيس من ثمار شجرة القصد، أو الثمار الجافة، والأوراق النباتية، وحتى الفقاريات مثل (الأفعى والعقرب والخنافس، والجعل... إلخ).

تفرعت أطراف الحديث مع الراوي... وطالت جوانب عدة من هذا الموروث الأصيل في دولة الإمارات العربية، مما لا يتسع المجال هنا لسرده كله، وربما سنرجئ بعضه إلى حلقات قادمة، وقد نفرد للموضوع كتاباً خاصاً، بمشيئة الله. وسنختم بفقرة مهمة لابد من ذكرها والتطرق إليها، وهي مجهودات الدولة في المحافظة على موروث صيد طائر الحبار. وهنا طال حديثنا مع الراوي هذا الجانب، وذكر أن ثمة جهوداً ملموسة، من بينها أن الدولة عملت مناطق لتكاثر هذا الطائر في بينونة حماية له من الانقراض، ووحدات أخرى خارج الدولة، كما في دولة أوزبكستان، ومحمية أخرى في المملكة المغربية، كما أن الدولة تقيم سباقات لتشجيع المواطنين على المحافظة على الموروث. ووضعت محميات لممارسة هواية صيد الحبارى، كما في محمية المرزوم بأبوظبي، ومحمية التلال في رماح العين، تشجيعاً للهواة، وإعطاء منفذ للقناصة للترويح عن النفس في بلدهم، دون عناء الذهاب والسفر للخارج.

# فتاة الشَّجرة

شهرزاد العربي

كان هناك ملك تعيس؛ لأنه لم يرزق بأطفال، وكانت زوجته الملكة أكثر تعاسة منه، خشية أن يبدلها بامرأة أخرى تنجب له الولد.

وذات يوم، سمعت الملكة صوت بائع متجوّل، يحوم حول القصر، وهو يقول:

ـ من يشتري منّي تفاح الحَمْل؟

عندما سمعت الملكة صياح البائع المتجول، سارعت إلى إحضاره إليها، وسألته عن تفّاحِه الثمين، فصرّح لها:

ـ إن هذا التفاح سحري، إذا أكلت منه المرأة، ولم تكن تنجب، رزقها الله الولدَ.

سُرَّت لهذا الكلام، واشترت تفاحة بمبلغ كبير، وفرح كل منهما بما أصبح لديه.

قامت الملكة بتقطيع التفاحة إلى نصفين، وأكلت أحدهما، وصرَّت الآخر إلى حين.

عاد الملك إلى غرفة الملكة، فوجد تُفاحاً في غير موسمه، لكنه لم يتمالك نفسه، وأكل نصف التفاحة الذي أرجأته الملكة لفرصة أخرى.

عندما علمت الملكة بما كان من أمر زوجها استاءت، لكنها لم تقل شيئاً.

أراد الله، وأصبحت الملكة حاملاً، والعجيب في الأمر، أن الملك ظهر على فخذه تورُّمٌ، وأصبح يكبر يوماً بعد يوم، حتّى منعه من الحركة.

وفي اليوم الموعود، وضعت الملكة أميراً جميلاً، واشتد الألم على الملك، واحتار الأطباء في ذلك النتوء، الذي كان يكبر يوماً بعد يوم، ونصحه أحدهم بإحضار طبيب مغربي، يعيش في غار جبل، وله قدرة عجيبة على شفاء كل الأمراض.

استُقدم الطبيب المغربي إلى القصر، وعندما نظر إلى فخذ الملك وفحصها، قال له:

ـ لقد أكلت من التفاح السّحري الذي يسبب الحمل.

واعترف الملك بذلك دون حرج، فقام الطبيب بشق الفخذ، وأخرج منه قطعة لحم، وألقاها بجانبه، واهتم بتنظيف الجرح وخياطته.. في هذه الأثناء فوجئ الجميع بأنثى طاووس تدخل من شرفة القصر، وتخطف تلك القطعة، وتطير بعيداً.

حلّقت أنثى الطاووس وقطعة اللحم في منقارها، واستمرت في الطيران حتى وصلت مملكة أخرى، فحطّت على شجرة قرب مشرب لخيول الملك،

واتّخذت من المكان عشّاً، حيث عاشت سنين هناك.

وذات يوم جاء عبيد الملك، ومعهم الخيول لِترد الماء، لكن الأحصنة تراءى لها ظلال في المياه أزعجها، فنفرت، ورفضت أن تشرب، ورغم كل المحاولات لم ينجح سائس الخيول على حملها لترتوي، فعادوا إلى الأمير، وقصوا عليه قصة الخيول.

جاء الأمير ليرى بنفسه ما حدث، وحثّ الأحصنة على الشرب، لكنها لم تفعل، فحدّق في الماء، فتراءت له صورة فتاة، ساعتها رفع بصره إلى الأعلى، فرأى الفتاة تجلس على غصن الشجرة، وكانت ذات جمال لم ير مثله من قبل.

خرَّ الأمير صريعاً عندما وقعت عيناه على فتاة الشجرة، وسارع خَدَمُهُ بنقله إلى القصر، وظل هناك في سريره ثلاثة أيام لا ينطق، وجلبوا له الأطباء والسّحرة، حيث أجمعوا على أنه تحت تأثير فتاة جميلة وقع في حبها.

بعد أن تحسّنت حالة الأمير سارع إلى الشجرة، وطلب من الفتاة النزول، لكن دون جدوى، ساعتها أمر أن يحضروا امرأة تعرف باسم «السَّتُوت».. امرأة إذا ذكر اسمها في مكان، قال الحضور:

ـ السّتوت أم البهوت، لا رزقها الله حيّة، ولا رحمها يوم تموت.

حين حضرت الستوت، قالت:

ـ إن هذه الفتاة جنيّة، ربتها أنثى الطاووس، وهي جنية بدورها، ولابد أن نستعين بساحر يهودي، سأدلّك عليه.

حضر السّاحر عند الشجرة، وبدأ بإطلاق البخور، وقراءة التعويذات، وكتابة الأوفاق، وإطلاق التهديدات، فتحوّلت الفتاة إلى يمامة بيضاء، وطارت هي وأنثى الطاووس بعيداً، لكنها عادت ليلاً، فأعاد الساحر عمله لمدة سبعة أيام، وفي اليوم السّابع نزلت، وبَهَر جمالها الجميع، وتعهد لها الأمير بأن يتخذها زوجة له.

كان الأمير متزوجاً من ابنة خالته، ولم يعجب الأم ما فعله ابنها، خاصة أنه انصرف كليّاً لعروسه الجديدة، وزاد سلوكه من اشتعال نيران الغيرة لدى

زوجته، واتفقت أمه مع ابنة أختها على التخلص من فتاة الشجرة، وإعادتها إلى حالتها الأولى؛ أي يمامة تعيش في البراري، واستعانتا بالساحر، الذي أعطاهما إبرة مسحورة، لتغرز في رأسها.

بدأت الملكة تتقرّب من فتاة الشجرة، حتى أنست لها، وأخذتها في حضنها، مُدّعية أنها تحبها كابنتها، وفي اللحظة المناسبة غرزت الإبرة في رأسها، فصرخت الفتاة وانتفضت، وتحوّلت إلى يمامة، وطارت إلى حقل قريب من القصر.

عاد الأمير في المساء، فلم يجد زوجته، فسأل أمه عنها، فقالت:

ـ إنها ليست بشراً مثلنا.. إنها جنية، لقد تحوّلت إلى يمامة وطارت.. إن عيشها في البراري، وليس في القصور.

صدّق الأمير كلام أمه، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من الحزن على زوجته، وظل على تلك الحال، وذات يوم أمر الأمير البستاني بزراعة أشجار الورد في إحدى حدائقه، وبينما الفلاحون منشغلون بتقليب التربة، سمعوا صوتاً يغني بهذه الكلمات:

ـ لقد جئت إلى الوجود عن طريق تفاحة، واحتضنني مالك، والطاووس ربتني، والأمير تزوجني، وأمه سحرتني، وإلى يمامة حوّلتني.

ظل الفلاحون يصغون إلى هذه الأغنية، ويتعجبون من الأمر، خاصة عند الليل، عندما تتوقف الأغنية، ثم يسمعون نحيباً.

عندما علم الأمير بالأمر، ذهب إلى حيث سمع الفلاحون الصوت، وهناك وجدها تحكي قصتها بأنغام حزينة، فأخذها معه إلى القصر، وقام بتنظيفها من الأتربة، ورأى شيئاً في رأسها، فانتزعه، فإذا هي الإبرة المسحورة، التي غرزتها الملكة في رأسها، وهنا عادت اليمامة إلى طبيعتها.

وتمّت معاقبة الجناة، وبقيت فتاة الشجرة سيدة القصر، تنعم بحب واهتمام الأمير، أما أنثى الطاووس، فقد كانت تأتي لزيارتها بين الحين والآخر، لكنها تأخذ شكل امرأة.. وهكذا عاش الجميع في سعادة وهناء.

# محلّ «الأنتيكا»

## مزادات الذاكرة في السوق السوداء

العتيق، الأثري، أو «الزّمني» – كما نعرّفه في تونس – جلّها مصطلحات تنطبق على المنقولات القديمة، من أثاث وتحف ومفروشات وغيرها، ورغم مرور الزمن، يبقى لهذا العتيق جذبه، ومن مرتحل لآخر كانت سفرة «الأنتيكات»؛ لتستقرّ مؤقتاً بمحال بيع القديم.

د. زينب قندوز غربال
دكتوراه في علم التراث – تونس

محلّ «الأنتيكا»، حاضنة الذاكرة بامتياز، كلّ جزئية فيه هي عنوانٌ كُتب بإتقان، هو فسحة للتعاطي مع الزمن من جديد، ودخول البيت العتيق من باب آخر، وسبر أثرٍ متستّر. زيارتنا رحلة تقصٍّ لأفضية سكنية بأسلوبٍ مغاير، وتناول عناصره منفصلة عن منشأها، بموقع جديد، وأسلوب مُخالف، ووضعية مُغايرة، في انتظار قاطرة الوقت لتنقل الزمان الماضي إلى الزمان الآجل، بحضور الزمن الحاضر. بحواسنا نستدلّ على الطريق؛ لتكون أدوات التخاطب لفهم المكان (المحلّ)، والمكان يوصل رسالته المخفية من خلال حواسنا، فلا تبدأ التجربة المكانية من بداية الوجود في المكان المرغوب، ولكنها تكتسب آثاراً ذاكراتية في عملية الرحلة إلى المكان ذاته ومنه، فمثل التجوّل، الرحلة أيضاً تحتوي في طياتها على تلك التفاعلات متعددة الأبعاد.

**فهل كانت مقتنيات المحلّ أمينة على ماضيها، وحافظة لذاكرتها؟**

بمحال الأنتيكا تُناظر الماضي في أكثر من موضع؛ ففي الفضاء المتاح، وما يتوزّع إليه بين الجدران، تشاهد عن قرب علامات الخطاب المسكوت عنه؛ ليرتسم وجودها بالغياب... إنّك في حضور الذاكرة. يتقابل التاريخ مجتمعاً في مكان واحد... مرافع مُعلّقة، وصناديق حفظ المقتنيات الشخصية متراصف بعضها فوق بعض، أوانٍ فخارية وأباجورات بقياسات وتصاميم مختلفة، أبواب وشبابيك افترشت الساحة، وأطرُ أفرشة – بزينتها وزخارفها – توكأت الحيطان... جدران صمّاء تحوطك بمقتنياتها المتراصّة في فوضى منضمة لا يفقه سرّها إلا صاحب المحلّ. هو أثاث قديم، ليس بأطلال أو خردة مهملة، بل هي رموز كانت يوماً لأمكنة تنبض





حياة، وتحفظ عهد الانتماء عبر ديمومة الذاكرة فيها. ماضينا، صورٌ تتعاقب ذكريات... تعترضنا مقاطع لأغان أو هي «برواز لصورة» أو قطعة أثاث. ذكرياتنا هي «الزمن الجميل» بتفاصيله المجسدة بالأشياء القديمة التي استطاعت أن تحتفظ برونقها، وببقائها تستمرّ الذّكرى.

تراوح المعروضات بين القطع النحاسية والزجاجية المزخرفة، والخشبية من مختلف الأحجام والأشكال والاستخدامات، وتكون هذه التحف شاهدة على حقبة توثّق شهادة ميلادها، وأوصافها وميزاتها من على واجهتها، وتحدّد بالتالي قيمتها كتحفة بالإفصاح عن عمرها.

إطار من المشغولات الخشبية لغرفة نوم، أوانٍ فخارية معلقة، وقطعة مرقوم تؤثث ركناً من المحلّ...

يقـول غاسـتون باشـلار، في كتابـه «جماليّـات»: «إنّ الذكريـات تظلّ سـاكنة، وكلمـا كان ارتباطهـا بالمكان أكثـر تأكيـداً، أصبحـت أوضـح، إنّ كل أماكننـا الماضيـة، والتي رغبنـا فيها تظل راسـخة في داخلنا، لأننـا نرغـب أن تظلّ كذلـك، نرغـب في أنْ تظلّ تلك الأمكنة مسـتقرّة بوعينا، مشـبعة بالأحداث والرّموز، ومشـحونة بالدّلالات والذّكريات». فتتحوّل محال بيع «الأنتيـكا» إلى «صناديق للذكرى»، وحافظة الأسـرار. هنـا يباع ويُشـترى الأثاث والتحـف القديمة لمن يدفع أكثـر... وكلّمـا زادت القطعـة عُمـراً ارتفعـت ثمنـاً. وعليـه «بـدأ جمـع القطـع القديمـة والاتّجـار فيهـا يتحـوّل إلـى مهنة تلاقـي رواجاً في أسـواق تونسـية عـدّة»، لتتحوّل تباعـاً من مجرّد هوايـة لجمع القطع القديمـة، إلـى تجـارة ومهنـة يسـترزق منهـا الفقير كمـا الغنـيّ، في دائـرة قاسـمها المشـترك تحفة هي قطعـة من التاريـخ. لتتحوّل محال بيـع «الأنتيكا» إلى

إطار خشبي مزركش يطلق عليه «السرير الحجامي»

«الصندوق» حافظة المرأة وخازن ممتلكاتها ما غلا ثمنه وعلت قيمته من جواهر وحلي وغيرها.

بعض أوراق التاريخ

مرفع للتعليق يوضع في المجلس

متاحـف انتشـرت في شـوارع المدن العتيقة خاصـة، وفي أغلـب المناطق التونسـية.

كمـا هو الشـأن مـع العديد مـن المدن العربيـة، فقد كانـت بدايـات تجـارة القطـع القديمـة في تونس من خـلال الباعـة المتجوّلـين، مهمتهـم كانـت تبـادل ما توافـر مـن أوانٍ قديمـة، خاصـة تلـك المصنوعة من مـادة النحـاس، بأخـرى جديـدة بمـواد معمولـة من الألمنيـوم، ولا يقتصـر التبادل بالأواني فقط، ليشـمل كل شـيء قـديم، مـن أثـاث وملابـس وغيرهـا مـن المنقـولات. بعد يوم من التجوال بالشـوارع بين الأزقة والحـارات، يعمـد البائع المتجـوّل إلى كبـار التجار – الذيـن يمتهنون الاتجار في الأنتيـكا – للتفريط بالبيع في غنيمـة اليوم؛ ليقوم أصحـاب المحال فيما بعد إلى تصنيف القطـع، وتحديد قيمتهـا التاريخية والأثرية، وبالتالـي اقتـراح ثمن يناسـبها. تتفاوت الأسـعار من قطعـة لأخرى، سـواء لأهميتهـا التاريخيـة، أو لدقة صنعتهـا، أو لندرتهـا، لترتبـط تجـارة «الأنتيـكا» بالأغنيـاء؛ لولعهـم بجمع القطـع النادرة.

محـلّ التحـف والمقتنيات القديمـة يرتـاده زبائن من جنسـيات وطبقـات اجتماعيـة مختلفـة، كلٌّ لغـرض مُحـدّد؛ إمـا للبيـع أو لشـراء التحـف النحاسـية والزجاجية والخشـبية المزخرفة والمفروشات الثمينة، أو للاطـلاع والفرجة والاكتشـاف. عمومـاً، ارتبطت «الأنتيـكا» بالطبقـة الأرسـتقراطية التـي تتميـز بشـغفها بالقطـع القديمـة، علـى اعتبـار أن القطـع المعروضـة للبيـع قطـع أصليـة، وباهظة الثمـن. كما أن ولَـه الأغنيـاء بالمشـغولات القديمـة والثمينـة في آنٍ مـا، يدفعهـم للبحـث عمن يمتلـك ويقتني التحف والأثـاث العتيـق، التـي تـزداد قيمتها بمـرور الوقت، بسـبب قدمهـا من جهـة، أو هـو ارتباطهـا بأحداث تاريخيـة من جهـة أخرى، لتصبح ثـروات حقيقية من الناحيتـين الماديـة والمعنوية.

قطع من المنسوج التقليدي الأصلي، زادها قدمها قيمة؛ ليعلو ثمنها في السوق، ويتهافت عليها المحترفون من الأجانب حتى قبل التونسيين.

فرملة قديمة زمنية فضة صارمة

هرماشة... جبة عروسة - الرفراف/ بنزرت

عموماً، تشترك مُعظم محال بيع «الأنتيكا» في تونس بالاتجار في التحف والمقتنيات القديمة، أو الأثرية، غير أنها تختلف في مصدر جلبها أو اقتنائها، وهو ما جعل هذا النوع من التجارة يُصنّف بدوره إلى تخصّصات داخل دائرة المتاجرة في القديم، ويمكن تصنيفها إلى محلّي وأجنبي. ففي أسواق مدننا العتيقة التونسية تعترضك محال صغيرة المساحة، وثرية بمخزونها، وما تحويها من ممتلكات. وعلى سبيل المثال نجد المحال المختصّة في بيع المفروشات القديمة، من قبيل الزربية «القروية» والمرقوم «الوذريفي» والكليم «القفصي».

الجبة الكحلة - عدس وكنتيل نحاس

قمجة قصيرة - المهدية

كذلك هناك من المحال التي تختص في بيع قطع الملابس القديمة، والقدم هنا لا يعني فقط أنها مستعملة، بل عمر القطعة الذي يتجاوز المائة سنة أحياناً، وعليه يمكن أن يتعدّى ثمن القطعة من الملبوس الألف دينار تونسي، مثل الفوطة والبلوزة والفرملة والثوب والسروال وغيرها من القطع النادرة والعتيقة.

(صور الملابس المعروضة هي من محلّ «محمود وخير الدين بن غربال»، الواقع بسوق جامع الزيتونة، أسواق المدينة العربية بالعاصمة التونسية. حانوت متران بمترين... يضيق مساحة ليتسع تاريخاً، أحسبني أن ثراء تونس كلّه يختزله هذا الحيّز. هو في حدّ ذاته متحف يعبر الحضارات والأديان... حلي بألوان بربريّة... ليرات... نجمة يهود... قطع من

الذهـب المطـروق والجوهر كتلـك التي كانـت ترتدى في عهـد البايات... فرامل وأثـواب من مختلف أنحاء الجمهوريـة. وأنـت تجـوب كلّ ركن فيه تشـعر كأنك في بـلاد العجائـب... يتوقف الوقـت فتكون في الزمن الآخر، والمـكان الحاضر).

لا تتوقّـف تخصّصـات المحـال في الملبـس والمفـرش، بـل الأثـاث التقليـدي بمختلـف أصنافـه وأنواعـه. والمقصـود هنـا الأثـاث التونسـيّ الطابـع مـن قبيل المرفـع، وصنـدوق الملابـس، وأطـر الدكاكـين (جمع دُكّانـة)، والأوانـي الخزفيـة والنحاسـية والفضيـة، وحتـى أطـر الأبـواب والشـبابيك المطرّقـة (نقـش زلابيـة)، وغيرهـا...

لئـن اقتصرت محال بيـع الأنتيكا في جمـع التحف – تونسـية الأصل – وتصدير الإرث والمخزون التاريخي، إلّا أنـه وفي الأعـوام الأخيرة أصبحت أسـواقنا تُورّد «تاريخاً» أجنبياً، حيث انتشـرت محـال بيع «الأنتيكا» المسـتوردة من الغرب، مثل فرنسـا وإيطاليـا وألمانيا، وحتـى من بـلاد الهنـد. هـي ليسـت بقطـع مُقلّدة، بـل هـي قديمـة وتقليديـة وحتّـى أصليّـة. نجد من بـين المقتنيـات الكريسـتال والأباجـورات والأوانـي

السوق الموازية... ركن من أركان الذاكرة الوافدة

النحاسـية وطاولات الطعـام واللوحات الزيتية الموقعة من فنانيها، والسـاعات الحائطيـة وغيرها. والغريب أن هـذه المحال قد وجـدت لمنتوجاتهـا رواجاً، ولاقت إقبـالاً كبيراً مـن مختلف الشـرائح الاجتماعية. على غـرار جامعي القطـع الأثرية النـادرة والأصلية (les collectionneurs)، فـإن العديـد مـن الزبائـن يفضّلـون ارتيـاد هذه المحـال؛ لأن البضائع المعروضة في حالـة جيـدة، وبالتالي يمكـن اسـتخدامها كما لو كانـت جديدة.

تجـارة «الأنتيـكا»، مهنـة تتطلـب مـن ممارسـها الحرفيـة في التعامـل مـع بضاعتـه؛ لأنهـا قطعـة مـن التاريـخ، فهـي فـن وذوق رفيعان، كمـا للخبرة دورهـا في تسـيير عمليـات البيـع والشـراء، والتي تكتسـب بالممارسـة وليـس بالسمسـرة، وقليلـون هـم من يعرفـون خبايـا مهنتهم. سـلك الاتجار في التحـف القديمة موجود ومرتبـط بعجلة الاقتصاد، يتطلب من السـلطات المعنية، سـواء وزارات التجارة والصناعـة أو الثقافـة والسـياحة، الاهتمـام بـه كقطـاع له وزنه، ويتناسـب مع مهمّته ودوره كمصدر تراثـي وسـياحي في الدولة.

# التراث الشعبي اليمني بين الماضي والحاضر

يرى بعض العلماء أن التراث الشعبي هو شكل من أشكال الثقافة والمعرفة التي انتقلت مشافهة بشكل عام، وهنا نجد أن العلماء قد وسّعوا دائرة التراث الشعبي، بحيث لم تصبح منصبة على الأدب الشعبي وحده، ولكنها شملت كل ما يتصل بالثقافة والمعرفة الشعبية، من عادات وتقاليد وعرف سائد، إضافة إلى الممارسات والمعتقدات الخرافية.

د. ماجدة الشيباني
أستاذ مساعد كلية الفنون الجميلة
جامعة الحديدة

إن التراث الشعبي يمثل المظاهر المختلفة للثقافة التي يأخذ بها العامة، مع وجود ثقافات متحضرة تعيش جنباً إلى جنب، مع إمكان وجود ارتباط فكري بين كل منها.

لذلك اهتم علماء وباحثو التراث الشعبي بتدوين كل القيم والعادات والموروثات التي تنتقل اجتماعياً من الأب إلى الابن، ومن الجار إلى جاره، مستبعدين المعرفة المكتسبة عقلياً، سواء كانت محصلة بالمجهود الفردي، أو من خلال المعرفة المنظمة والموثقة التي تكتسب داخل المؤسسات الرسمية، كالمدارس والمعاهد والجامعات والأكاديميات، وبذلك فإن التراث الشعبي لا يقتصر على الثقافة الشفهية أو المأثورات الشعبية أو الممارسات الثقافية، وإنما يمتد ويتسع ليشمل كل ما يؤديه العامة من أعمال لم تتم على أساس علمي، أو دراسة تجريبية، وإنما تعتمد على النقل من جيل إلى جيل، في شتى مجالات الحياة العلمية، كالحرف والصناعات اليدوية التي تميز شعباً من آخر، وتتطبع بطابع خاص لهذا الشعب؛ فالثقافة الشعبية هي نتاج عملية تطور

طويلـة، امتـدت طـوال آلاف السـنين، والتـي ترسـبت في كل مجتمـع بشـري، متضمنـة قـدراً عظيماً مـن الحكمـة في معاييرها وأنماطهـا الشـديدة التنـوع، ولا يمكـن لأحد أن يهرب مـن تأثيرها في أي مجتمـع كان، ابتداء من أكثر المجتمعـات بسـاطة حتـى أكثرها تعقيـداً وتطـوراً .

كمـا يمكن القول إن التراث بصفة عامـة يمثـل صلـة وأداة تواصـل بـين الـوارث وأسـلافه، وبـين من يأتـي من بعـده، فالتواصـل يربط حلقـات وجـود الجماعـة عبـر الزمـن، مدعمـاً اسـتمرار ذلـك الوجـود، ويزكـي شـعور الجماعة بامتـداد جذورهـا مـن الماضـي إلـى الحاضر، كما يوحـي للأحياء بإمكان اسـتمرار جـزء من عالمهم، فالتواصـل هـو الأداة التـي مـن خلالهـا يمكـن للتـراث أن يضـم أشـياء جديـدة من صنـع الأحياء.

وحينمـا نتحـدث عـن التـراث الشـعبي وزخـره الجمالـي، فإنـه يتبادر إلى الأذهان التراث الشعبي اليمنـي، الـذي اتسـم بالقـدم، وبقـي رمـزاً متواصـلاً للتطـور الاجتماعـي، فالإبـداع الشـعبي

القديم في اليمن صاغ تراثاً شـعبياً متميزاً بين الـدول والأمم، فاليمن أحـد مراكز الحضارات الإنسـانية القديمـة التـي أثرت وتأثـرت بها، حيـث ازدهـرت نمـاذج حضاريـة متطـورة، في الجـزء الجنوبـي من شـبه الجزيرة العربيـة، وقد بلغت الحضـارة اليمنية القديمـة درجة كبيـرة من الرقـي والازدهار، جعل اليونـان والرومـان يطلقـون علـى موطـن تلـك الحضـارة «العربيـة السـعيدة».

وتبرهـن الاكتشـافات المسـتمرة على أن الإنسـان اليمنـي قد اهتم بالفنون منذ القـدم، وتزداد الرؤية وضوحـاً، والحجـة ثباتـاً، بازدياد الاكتشـافات لكثير من الحفريات، التـي تبرهـن بصـورة قاطعة على

اهتمام الإنسان اليمني القديم بكثير من أنواع الفنون التشكيلية، من نحت ورسم وزخرفة، وخط منقوش على الصخور، وما كان يوليه من اهتمام في جانب الفن التطبيقي، فالإنسان اليمني عبر العصور، ومنذ القدم، كان مبدعاً حياة راقية في وطنه، فالعمارة اليمنية على سبيل المثال تمثل تمثيلاً رائعاً للتعامل الإنساني المتفاعل مع البيئة، ليفرز الحضارة الإنسانية والتاريخية للأمثلة المعمارية التي نراها في اليمن بصفة عامة، وفي صنعاء بصفة خاصة، وأيضاً تمثل نموذجاً متميزاً لعمارة فريدة، تعبر عن القيم والأصول النابعة من البيئة والتراث الحضاري، والثقافة الخاصة بالمجتمع اليمني.

فالعمارة في اليمن ليست مجرد طراز، أو زخارف شتى، أو صور معمارية ثابتة، ولكنها تشمل في طياتها ثوابت، أغلبها نابع من العقيدة الإسلامية، ومتغيرات تظهر في الشكل الخارجي والداخلي للمنشأ.

والفنون الشعبية اليمنية لم تقتصر على جماليات المسرح العمراني فحسب، بل شملت ملابس وزينة أهل المدينة وعلاقاتهم الاجتماعية كعلاقة تبادلية، أحدث مفهوم الموروث

الثقافي والاجتماعي كجزء من الوجدان والخيال الإنساني على مستوياته المختلفة، مما جعل الإنسان اليمني راغباً في أن يسبغ ملامح حياته المختلفة، معيشة وزياً، ومعماراً وأدوات بملامح بيئته الجمالية المحيطة.

فالتراث الشعبي اليمني إذن، يعدّ نموذجاً خاصاً ومتميزاً، وذلك لاحتوائه على العديد من الجوانب الحياتية للإنسان اليمني، ومازال هذا التراث قائماً إلى الآن، حيث نشاهد جمال وروعة صوره المتعددة، فعلى الرغم من تقدم الحياة وتطورها، إلا أن الطابع الجمالي للفنون الشعبية اليمنية، سيجعل منها كنزاً يخلد مدى الدهر، لا يمكن طمسه مهما بلغت عجلة التقدم والتطور.

ويحق لليمن، وهو يملك هذا الجمال الذي اصطنعته قدرة الله، واستحق اسم الشهرة الذي عرف به في الماضي، فكان العربية السعيدة، أن يعرف الأبناء من سلالة الأحفاد العظام، كيف يتأتى استثمار هذا التراث العظيم، وكذلك الإضافة عليه من إبداعات حديثة، والتي حتماً ستتميز بالأصالة والمعاصرة.

## شَيَّدَتْه السيدة فاطمة الفِهْرية
# جَامِع القَرَوِيِّين بفَاسَ
## مَعْلمة يفوح عبق التاريخ من جميع مكوناتها

محمد العساوي
باحث في التاريخ والتراث – المغرب

شَكَّلَ حدث توافد إدريس الأول على المغرب، قادماً إليه من المشرق، بعد هزيمته في وقعة فخ على عهد الهادي العباسي، منعطفاً حاسماً في تاريخ الغرب الإسلامي، إذ إنه وَضَع اللَّبِنَة الأولى لمشروع تأسيس أول دولة إسلامية ببلاد المغرب، سُمِّيَتْ بالأدارسة، ابتداء من سنة 172 هجرية (789 ميلادية).

أكمل من بعده ابنه إدريس الثاني هذا المشروع، إذ قام بتوسيع رقعة الدولة، وأسّس مدينة فاس سنة 192 هجرية (808 ميلادية)؛ لتكون عاصمة للدولة، ومركزاً علمياً ودينياً، وقد ظهر ذلك في الدعاء الذي دعا به الله تعالى أثناء البناء حيث قال: «اللهمَّ اجعلها دار فقهٍ وعلم، يُتلى بها كتابُك، وتُقام بها حدودك، واجعل أهلها متمسِّكين بالسُّنة والجَماعة ما أبقيتَهم»، وقد تحقَّق هذا الدعاء على يد سيدة فاضلة مِن أهل فاس، جاد بها الزمان، اسمها فاطمة الفهرية، المكناة بـ«أم البنين»، التي





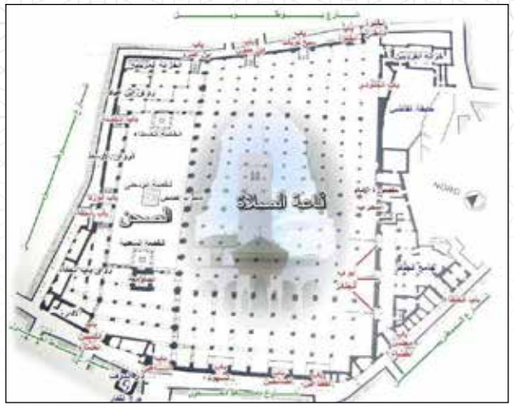


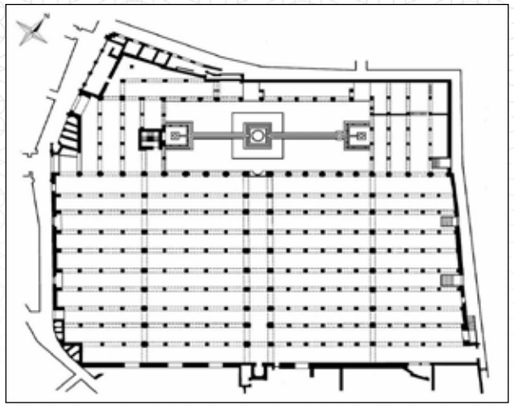

دخلت التاريخ من أبوابه الواسعة لاعتبارين، الأول أنها أسست «جامع القرويين»، الذي يُعد أعظم معلمة دينية اشتهر بها المغرب منذ بنائها، والآخر أن هذا العمل جعلها تكشف عن الدور الذي لعبته المرأة العربية في الأعمال التطوعية الإحسانية.

### 1- جامع القرويين وحكاية البناء

عرفت مدينة فاس منذ عهد إدريس الثاني هجرات من سكان الأندلس والقيروان، جعلت المدينة تنقسم إلى منطقتين متجاورتين، إحداهما في الجهة الشرقية، التي أقام بها المهاجرون الأندلسيون، وتسمى «عدوة الأندلس»، والأخرى في الجهة الغربية التي استقر بها القادمون من القيروان، وتسمى «عدوة القرويين»، وتم بناء سور يفصل بينهما، وكان من جُمْلَة المهاجرين القيروانيين فريق من أسرة فهرية، الذين تزايد عددهم في القرن الثالث الهجري، إبان فترة حكم العاهل يحيى الأول الإدريسي (حفيد إدريس الثاني)، ومن بين الذين اشتهروا من الفهريين شخص ثري يسمى: الفقيه أبو عبدالله محمد بن عبدالله، الذي توفي في أيامه الأولى بالمغرب، وترك ثروة لابنتيه الوحيدتين فاطمة ومريم، اللتين كانتا على جانب من العلم والفضل معاً، فقد تأثرتا بقول النبي عليه السلام: «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة»، وعزمت كل منهما على تحقيق مشروع ظل إلى اليوم شاخصاً ناطقاً، يرفع من شأن المرأة المسلمة إلى الأبد، وبناءً عليه قررت مريم بناء جامع بعدوة الأندلس، وأختها فاطمة شيدت جامع بعدوة القرويين.

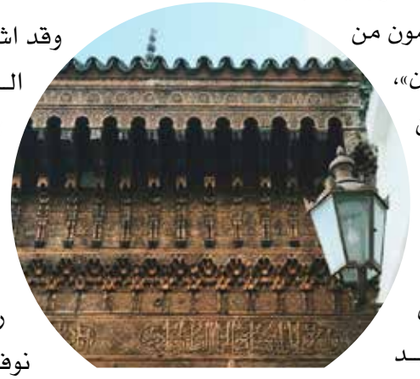

وقد اشترت السيدة فاطمة من مالها الذي ورثته حقلاً ليكون موقعاً لبناء الجامع، وحرصت على ألا يُنفق على هذا الجامع إلا من موارد نظيفة الأصول، وبدأ حفر الأساس في الأول من شهر رمضان عام 245 هجرية (30 نوفمبر 859 ميلادية)، بإشراف

الحاكم يحيى الأول[1]، وحسب المصادر التاريخية، فقد ظلت أم البنين صائمة محتسبة إلى أن انتهت أعمال البناء، وصَلَّت في المسجد شكراً لله[2].

**2- تصميم الجامع**

تم تصميم القرويين مربعاً على نحو ما عُرِف في معظم الجوامع الأولى، إلا أن تربيعه لم يكن تاماً بسبب كِبَر عرضه على طوله، وتذكر المصادر أن طوله بلغ 150 شبراً (1200 متر مربع)، وقد كان يتألف من أربع بلاطات[3] أفقية، تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، ومن اثنتي عشرة بلاطة عمودية، تنزل من الجنوب إلى الشمال، ومحرابه وُضِع في ناصية البلاط، وعمل الصناع على نقش قبته أرصاداً وأشكالاً، أما صومعته فلم تكن مرتفعة، وعند نهاية قاعة الصلاة، كان يوجد الصحن الأول للمسجد، وكان الجامع عند تأسيسه يتوافر على أربعة أبواب: بابين متسامتين، أحدهما في اتجاه باب ابن حيون شرقاً، والآخر في اتجاه باب الكتبيين غرباً، أما البابان المتبقيان ينفتحان على الجهة الشمالية من جهة الصحن[4].

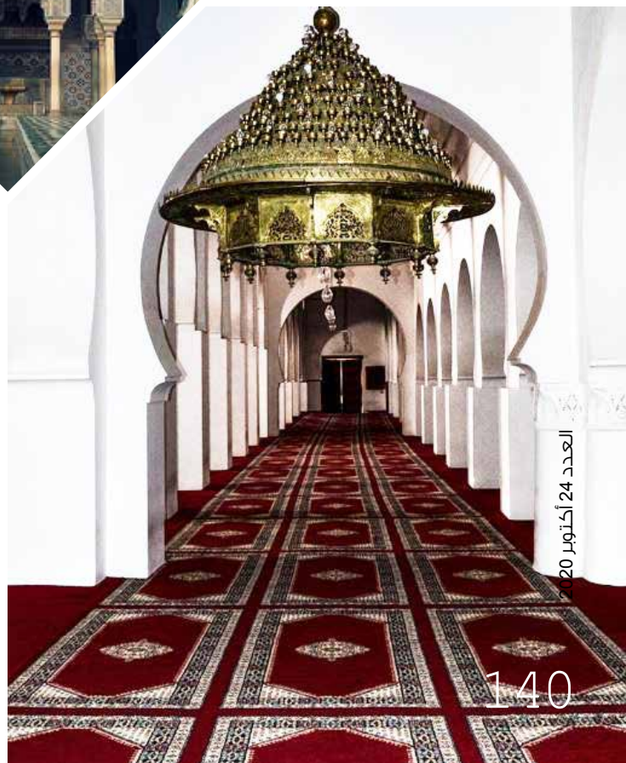

**3- توسعة معالم القرويين وتحسينها عبر التاريخ**

بعد زوال دولة الأدارسة، جاء المرابطون، الذي أقاموا أهم وأضخم توسعة لجامع القرويين، بحيث زاد امتداده في كل الاتجاهات تقريباً، ويمكن إرجاع حدوده الحالية إلى تلك الفترة، لأن ما شهده الجامع من عمليات خلال العصور الموالية، اقتصرت على إضافة مرافق وتشييد ملاحق، وإقامة تجهيزات لم

تُعَدِّل من الحدود التي رسمها المرابطون.

وتَكَوَّنَ تصميم الجامع إبان حكمهم من قاعة للصلاة التي تحتوي على إحدى وعشرين بلاطاً، ويتميز البلاط الأوسط باتساعه وقبابه المتنوعة الأشكال والزخارف وهي مزينة إلى يومنا هذا بثريات بديعة الشكل، وتعد الثريا الكبرى المعلقة في القبة الوسطى من أضخم الثريات المغربية، وأجلّها قدراً، وأتقنها صنعة، وأغناها زخرفة، أما الصحن فهو مستطيل الشكل، تحيط به أروقة من الجهات الثلاث، ويحتفظ الجامع بعينات فريدة من الفن المرابطي، كالمحراب والقبة التي تعلوه والقبة المحاذية له، وقد صنعت بالجص المقربص الفاخر الصنعة والنقش...

وخص المرابطون الجامع بمنبر في غاية الروعة والجمال، وهو إلى يومنا هذا من التحف الفنية الفريدة بالمغرب، كما شيدوا خلف جدار المحراب فضاء فسيحاً، يوضع فيه نعش الميت لأداء الصلاة عليه.

واستمرت الدول التي تعاقبت على حكم المغرب في تدخلها في جامع القرويين؛ بتزيينه وتجهيزه وترميمه، وتفننت أيضاً في نقش كتابات لتخليد أعمالها، فَإِنْ كان الموحدون قد شيدوا المستودع بالركن الشمالي الشرقي للجامع، وأقاموا النافورة

العجيبة المنظر، فإن المرينيين زَوَّدوا الجامع بمكتبتين، الأولى للمصاحف، وأقاموها بجوار المحراب، والأخرى للكتب العلمية.

وعلى الرغم من قصر حكم الوطاسيين، وانحصار نفوذهم السياسي، وندرة منجزاتهم المعمارية، فإنهم لم يغفلوا الاعتناء بالقرويين، ويظهر ذلك من خلال ترميم بعض أجزائه المتلاشية، وتشييد سكن لإمامه الخطيب، خلف الركن الجنوبي الشرقي للجامع.

ولما وصل السعديون إلى الحكم، زوّدوا الجامع بخزانة جديدة، لاتزال قبتها ماثلة للعيان خلف جدار المحراب إلى اليسار، كما أنشؤوا قبتي الصحن، وتُذَكِّر القبتان، من حيث التصميم وتوزيع عناصرها، وترتيب أشكالها الزخرفية، بساحة الأسود بغرناطة.

ومع السلاطين العلويين شهد الجامع إصلاحات وعمليات صيانة عدة، وبناء قاعة كبرى لخزانة القرويين، وأصبح عدد أبوابه سبعة عشر، وهذه العمليات كلها أسهمت في استمرار المعلمة في أداء وظيفتها[5].

### 4- القرويين.. من الجامع إلى الجامعة

أسهم ازدهار القرويين بوصفه معلمة دينية في تطور وظيفته من مكان لأداء الصلاة ودروس الوعظ والإرشاد، إلى فضاء للتعليم، والظاهر أن الدروس كانت تُلقى منذ تأسيس الجامع، لكن بلورة نظام تعليمي بمفهومه الدقيق في إطار الجامعة، لم يتأكد إلا خلال فترة حكم الدولة المرينية (القرن السابع الهجري)، وذلك بتنظيم الدروس والامتحانات وبناء المكتبة العلمية...

وقد عُرِفَت جامعة القرويين باهتمامها بشتى العلوم المتداولة آنذاك، من علوم شرعية وعلمية، وفنون أدبية وسِيَّر... واشتهرت باحتضانها نحو مائة وأربعين كرسياً علمياً، كانت موزعة في جنبات البناية المتسعة، وفي المدارس والمساجد التابعة لها.

وبهذا أسهمت جامعة القرويين في تربية وتكوين الأجيال، دون توقف، على الرغم من التحولات السياسية التي شهدتها البلاد، وكان رحاب الجامعة ميداناً للاحتكاك، ومجالاً للإبداع والعطاء، وقد ترك علماؤها الفطاحل تآليف وتصانيف في مختلف العلوم، وهي تمثل جانباً أساسياً من تراثنا المخطوط، وتنبغي الإشارة إلى أن الطلبة الأجانب من غير المسلمين استفادوا من التجربة العلمية للقرويين، ونهلوا منها، وشكل أولئك الطلبة أداة لنقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا[6].

### خاتمة:

وختاماً، يمكن القول إن جامع القرويين، الذي امتاز عن غيره من جوامع العالم الإسلامي، كونه شيدته سيدة عربية مسلمة، جعلت من عملها الخَيِّري هذا، أن يُكْتَبَ اسمها في سجل عظيمات التاريخ الإسلامي، بل أدخلت معها مدينة فاس إلى مصاف المدن المعروفة عالمياً، حتى إنها لُقِّبَت بمنارة العلم والعلماء بالغرب الإسلامي.

---

1- التازي عبدالهادي، «جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس»، ط.2، دار نشر المعرفة، الرباط، 2000م، ج.1، صص.46-47.

2- مقال بعنوان، «تاريخ بناء جامع القرويين»، نشر بالموقع الإلكتروني لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، بتاريخ: 09 فبراير 2012م، مأخوذ من الموقع الإلكتروني للوزارة: http://www.habous.gov.ma

3- بلاطات: هي المسافة المحصورة بين الأعمدة التي تكون عمودية على اتجاه القبلة، أو هي الأروقة التي تتجه متعامدة مع جدار القبلة.

4- التازي عبدالهادي، مرجع سابق، ص.47.

5- الجمعية المغربية للتأليف والنشر، موسوعة معلمة المغرب، مطابع سلا، سلا، 2004م، الجزء. 20، مادة (القرويين)، الحاج عوني موسى، ص.6626.

6- المرجع نفسه.

الصور: مأخوذة من الموقع الإلكتروني: www.pinterest.com

# الألعاب والدمى الشعبية اليابانية

## (الجزء الثاني)

يعود تاريخ الألعاب والدمى الشعبية اليابانية في الأصل إلى ما يقرب من ألف عام، ولكنها في الغالب لم تنتشر وتعرف إلا بعد تصديرها عبر ناكازاكي، عندما تم افتتاح الميناء الوحيد للتجارة، خلال فترة العزلة الوطنية في عهد فترة إيدو (القرون 17-19).

رية ناكاو
كاتبة وفنانة – اليابان

ولكن ما هو ثابت في كل العصور، نجده شغف الأطفال بالألعاب والدمى الشعبية خارج المنزل، والتي تناقلتها الأجيال جيلاً بعد آخر، ومن مجتمع إلى آخر، إلا أن تلك الألعاب تراجعت، بسبب تغير ظروف الأطفال، والتطور بشكل كبير بعد 1980، بسبب ظهور ألعاب الفيديو، حيث بدأ الأطفال يفضلون اللعب في المنزل، ليس كما كانوا يلعبون في الخارج في الماضي.





كما انخفضت الأماكن الآمنة للعب الأطفال، بسبب تمدن الحياة، وصعوبة التواصل بين الأجيال بسبب العيش مع عوائل صغيرة ، وكذلك ضعف التواصل بين المجتمعات المحلية، حيث يعتقد أن كل هذه العوامل والمؤثرات كان لها دور في تراجع بعض الألعاب الشعبية في اليابان واندثارها.

من خلال الألعاب واللعب التقليدية، تطورت القدرة البدنية للأطفال بشكل طبيعي، وزاد الشعور بالتوازن، كما عزز قدرتهم على التركيز، وتعلم الصبر؛ ولهذا تسعى العديد من الفعاليات في الوقت الحاضر للحفاظ على مثل هذه الألعاب والدمى التقليدية، التي تحمل عبق الماضي في جميع أنحاء اليابان.

**«فوكو واراي» (ضحكة الحظ)**

تعني كلمة «فوكو» الحظ، وتعني كلمة «واراي» الضحك، هناك مثل ياباني الذي يقول «الحظ يأتي إلى منزل فيه الكثير من الضحك». لعبة «ضحكة الحظ» لا يلعبها الأطفال فحسب، بل يمارسها الكبار أيضاً، عندما تتجمع العائلات والأقارب في المنزل في يوم رأس السنة الجديدة ويستمتعون باللعب بها ، وتبث اللعبة روح التفاؤل بالحظ السعيد مع قدوم عام جديد.

للعب هذه اللعبة، يتم وضع ورقة رسم كبيرة لوجه بشري من دون أي ملامح للوجه على الطاولة أو الأرض ويجلس الناس في دائرة حولها، ويقوم شخص واحد فقط معصوب العينين بمحاولة وضع قصاصات

ورقيــة مثــل العينــين والأنــف والفــم والحاجبين على الوجــه في المواضــع الصحيحــة، بينما يقــوم الآخرون بتوجيــه اللاعب إلــى الأماكن الصحيحة ويشــجعونه.

لكــن لا توجد طريقة معينة للفوز بهــذه اللعبة، وعادةً مــا يكون الشــخص الــذي يصنــع الوجه الأكثــر دقة هــو الفائز، لكــن في بعض الأحيــان يكــون الفائز هو مــن يصنــع الوجه المضحــك أكثر تســلية؛ لذلك فإن هــذه اللعبــة تجعل الجميع ســعداء، وتجلــب «ضحكة الحــظ» للجميع.

كان مــن الشــائع في لعب هــذه اللعبة اســتخدام وجه امرأة بخدود مســتديرة وكبيــرة، ووجه رجل مضحك، ولكــن علــى مــدار ســنوات اســتخدمت وجــوه أخرى لأشــخاص معروفين مــن الممثلين المشــهورين وأبطال الكوميديــا ومــا إلى ذلك.

**«أوتيداما»**

«أوتيدامــا» هــي حقيبــة صغيــرة مخيطــة ومملــوءة بالفاصولياء، وتلعبهــا الفتيــات على الأغلــب. وعادةً مــا تســتخدم الفاصوليــاء الحمــراء في أصــل هــذه اللعبــة؛ لأنها متوافرة دائماً، ويســهل الحصول عليها، ولكــن في بعــض الفترات، وفي بعض المناطق، وبشــكل مختلف، تســتخدم كرات الكريســتال والحجارة والأرز وفــول الصويا كبديــل للفاصولياء في اللعبة.

كان مــن الســهل صنع «أوتيدامــا» في المنزل، وعادة ما كانــت الأم هــي مــن تقــوم بصنعهــا من بقايــا قماش الكيمونــو (اللبــاس الياباني التقليــدي)، وتملؤهــا بالفاصولياء، الجــدة تنقل إلى حفيدتهــا الأوتيداما ، أو الأم تنقــل الأوتيداما إلــى ابنتها وهكذا ، أو كذلك كانــت تعلــم الجــدة حفيداتهــا. تتقــاذف الأم وابنتها

بــين بعضهمــا حقيبــة «أوتيدامــا»، ويمررهــا جميــع أفــراد الأســرة، بينما يغنــون أغاني تقليديــة قديمة. ويقــوم من يلعب هــذه اللعبة بتقــاذف والتقاط اثنتين أو ثــلاث مــن الحقائــب، إمــا بيديــه الاثنتــين أو بيد واحــدة دون أن تســقط منه، وتلعــب «أوتيداما» غالباً بشــخص واحــد، أو ببعض الأشــخاص معاً.

يبــدو اللعب ســهلاً وبســيطاً للغاية، عندما تســتخدم اليديــن، لكــن مــن الصعــب جداً الإمســاك بهــا بيد واحــدة؛ لذلــك هنــاك عامــلان مهمــان للنجــاح في اللعبــة، همــا الإحســاس بالتــوازن، والإيقــاع، وهمــا أيضــاً ضروريــان لنمــو الأطفال بشــكل ســليم.

تحفــز لعبــة «أوتيدامــا» الإحســاس بالرؤيــة، مــن خــلال تعــدد الألــوان، وكذلــك حاســة اللمــس، مــن خــلال الإمســاك باليديــن، وحاســة الســمع بصــوت الفاصولياء؛ لــذا يقــال إن جميــع هذه العوامــل معاً تعمــل علــى تنشــيط الدمــاغ أيضاً.

### «أوريجامي» (فن طيّ الورق)

بعد إدخال تقنية صناعة الورق في اليابان، نشأت صناعة محلية لورق رفيع جداً وقوي، يسمى «الواشي» (ورق ياباني)، ومازال يُستخدم «الواشي» في العديد من الأغراض حتى يومنا هذا. في فترة عهد «هيأن» (القرون 9–12) استخدم النبلاء الواشي للرسائل، ولتغليف الهدايا بشكل جميل وأنيق، وفي فترة عهد «كاماكورا» (القرون 12–14) تم اختراع طريقة معينة للتغليف باستخدام «الواشي»، وتم تعديل هذه الطريقة في فترة عهد «موروماتشي» (القرن الرابع عشر). كان استخدام الواشي في مثل هذه الأغراض يعدّ شيئاً من الفخامة؛ ولذلك كان لا يستخدمه إلا النبلاء والنخبة من المجتمع، ولايزال اليابانيون يتمتعون بعادة أسلوب التغليف الجميل للهدايا في المناسبات الاحتفالية منذ ذلك الحين.

في فترة عهد «إيدو» (القرون 17–19)، تم تطوير تقنية صناعة الورق، وزاد الإنتاج بشكل كبير لتلبية الطلب المتزايد عليه، وسرعان ما نمت شعبيته بين شرائح المجتمع كافة، ولهذا انتشر «الأوريجامي» على نطاق واسع، وأصبح عادة الجميع، وتعني كلمة «أوري» (الطيّ)، وكلمة «جامي» (الورق)؛ لذا فإن «Origami» «أوريجامي» تعني (طيّ الورق).

«الأوريجامي» هو فن صنع الأشكال من خلال طيّ الورق، بشرط أن يصنع الشكل من ورقة واحدة فحسب، من دون مقص أو غراء، فعلى سبيل المثال، يكون الشكل على هيئة طائرة، أو بالون، أو دمية للألعاب، أو صندوق للاستخدام العملي، أو زهرة أو حيوان لغرض الزينة، والأكثر شيوعاً هو الطائر الكركي الورقي (نوع من الطيور التي تسمى «أوري زورو»).

وفي عام 1797، نُشر أقدم كتاب «أوريغامي» في العالم، بعنوان «سر نماذج ألف أوري زورو»، من قبل رئيس كهنة أحد المعابد البوذية، حيث استغرق منه 18 عاماً لإتمامه، وقد قدمت خلال الكتاب طريقة لطيّ 49 نوعاً من ( أوري زورو) المتصلة بالرسوم الإيضاحية، وما يرتبط بها من «تانكا/ واكا» (قصائد يابانية تتكوّن من 5–7–5–7–7 مقاطع لفظية) .

في عام 1945 تعرضت فتاة اسمها «ساداكو» للإشعاع في القصف الذري على هيروشيما، وهي في الثانية من عمرها، وفي عام 1955 في المستشفى، اعتقدت أنها إذا استطاعت طيّ ألف «أوري زورو» فسوف يمكنها التعافي من المرض، ويمكنها العودة إلى المنزل مرة أخرى؛ لذلك، تمكنت من طيّ أكثر من ألف «أوري زورو»، متمنية الشفاء التام، ولكن للأسف، ماتت عن عمر ناهز الـ12 عاماً، ومنذ ذلك الحين، أصبح «أوري زورو» رمزاً للأمل بطول العمر، ورمزاً للسلام العالمي؛ ولهذا يتم إرسال ألف «أوري زورو» كل عام إلى ناكازاكي وهيروشيما من أجل السلام، من جميع أنحاء العالم.

«الأوريجامي» هو جزء من الثقافة اليابانية وفنها، وينتشر في جميع أنحاء العالم، ويعرف باسم «أوريجامي» نفسه، كما يُنطق باليابانية.

في العصر الحديث، تُستخدم «الأوريجامي» كأداة تعليمية في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية، وتعدّ قيمة تعليمية ، فهي وسيلة تمتلك إمكانات هائلة، مثل تطوير الخيال وتطوير حركة أصابعهم وقد تناقل تقليد لعب «الأوريجامي» من جيل لآخر، وتناقلت معه

تاريخ الحروب التي تحفر في أذهان الأطفال منذ صغر سنهم.

**«الكوما»**

(كوما) هي لعبة تدور وتلعب ليس في اليابان فحسب، بل في جميعِ أنحاء العالم منذ العصور القديمة أيضاً.

وفي اليابان تم اكتشاف بعض قطع الكوما الخشبية في مواقع أثرية تعود إلى القرن السابع، وقد ذكر أنه في ذلك الوقت كانت تستخدم الكوما للاحتفالات في البلاط الإمبراطوري، ولعبها لاحقاً النبلاء فحسب، بالإضافة إلى لعبة مطابقة الصدف، وبحلول القرن السابع عشر، تم صنع كوما بوساطة أصداف لولبية مملوءة بالرمل والصلصال.

بحلول القرن العشرين، أصبحت تصنع الكوما من المعدن المصبوب، وكان يطلق عليها «بيجوما»، ويكون الفائز في اللعبة الذي يهزم منافسيه ويحصل على الـ( بيجوما ) الخاصة به بلغت شعبية اللعبة بين الأطفال ذروتها في النصف الأول من القرن العشرين، حيث كان يلف الجزء السفلي بداية نقطة السنّ المدبّب بشكل دائري في الاتجاه للأعلى بخيط سميك، ثم تقذف بقوة بسحب الخيط حتى تدور بشكل سريع على الأرض. يمكن لعب «الكوما» على أي سطح مستوٍ مثل الجزء العلوي من البرميل المغطى، ويكون

الفائز هو الذي يجعل(الكوما) يدور أطول وقت ممكن، من دون أن يخرج من الحلبة أو منطقة السباق.

منذ نحو 20 عاماً تقريباً، عاد إحياء البيجوما من جديد؛ ليصبح الكوما شكلاً جديداً، يُطلق عليه «بيليد»، والذي حظي بشعبية كبيرة بين الأطفال حول العالم.

طوى النسيان بعض الألعاب والدمى اليابانية مع مرور الوقت، لكن بعضها، مثل الكوما، تم تطويره، واستمر اللعب بها بطريقة حديثة، ولايزال جذاباً .

**«كينداما»**

هي لعبة تقليدية تتعلق بالإمساك بكرة خشبية أعلى كأس خشبي ومسمار بوساطة خيط متصل بها . فالجزء الأول من اسم اللعبة «كين» يعني السيف، والجزء الثاني «داما» يعني كرة. كان «كينداما» موجوداً في جميع أنحاء العالم قبل اليابان، عندما قدم إليها في القرن الثامن عشر، ومن ثم بدأ تاريخ اللعبة اليابانية. تم إنشاء الشكل الخشبي المتقاطع الحالي في بداية القرن العشرين، حيث تمثل الكرة الشمس، والثلاثة أكواب تمثل القمر، وهذا هو سبب تسمية «كينداما» الحالية بـ«الشمس وكرة القمر». يلعب الناس هذه اللعبة بينما يغنون





الأغاني ، مع ثني الركبة، وبذلك لا تعدّ لعبة فحسب، ولكنها أيضاً نوع من الرياضات. إذ تقام المسابقات، ويمكن للناس إظهار مهاراتهم، ويقال إن هناك أكثر من ألف طريقة للعب، فهي لعبة تحظى بشعبية كبيرة على مستوى العالم في الوقت الحاضر.

**«تاكيتومبو»**

«تاكيتومبو» هو نوع من الألعاب الخشبية، حيث يعني الجزء الأول من الكلمة «تاكي» الخيزران وتعني «تومبو» اليعسوب؛ لأن شكل اللعبة يشبه اليعسوب. تم اكتشاف بعض القطع الخشبية التي تشبه «تاكيتومبو» في بعض المواقع الأثرية بعد القرن الثامن بجانب ألعاب كوما .

هذا يعني أن هناك احتمالاً بأن «تاكيتومبو» كانت تستخدم كلعبة منذ القدم أيضاً، وتطير لعبة «تاكيتومبو» مثل المروحيات الصغيرة على مروحة واحدة، وقد اعتاد الناس قديماً صنعها بأنفسهم.

لجعل لعبة «تاكيتومبو» تطير، يقوم بلف جزء العصا بسرعة بين اليدين، ثم يحررها لتطير لأعلى مستوى ممكن، ويستمتع الأطفال، خاصة الأولاد، بلعبها خارج المنزل.

# طقس القهوة تاريخٌ من المتعة

د. منّي بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

تعدّ القهوة رمز الكرم وحسن الضيافة عند العرب قديماً، ولا يكاد بيت واحد يخلو منها، مهما كانت درجة فقر صاحبه، وقد اقترنت منذ آماد بعيدة بالعرب في حِلّهم وترحالهم، وهي أشهر مشروب في العالم على الإطلاق، وقد فاقت شهرتها شهرة الشاي، وربما يعود هذا إلى طعمها اللذيذ، وإمكانية التنويع في طريقة عملها، حيث توجد أنواع كثيرة منها، ويمكن تحضيرها بطرق عدة، وبالإضافة إلى هذا، فإن القهوة تقدم للجسم فوائد كثيرة، نظراً لاحتوائها على الفيتامينات ومضادات الأكسدة والكافيين، بالإضافة إلى العديد من المركبات المهمة.

القهوة اسم من أسماء الخمر، كانت تطلق عليه قبل الإسلام، وهي مشتقة من الإقهاء، وهو الاجتواء؛ أي الكراهة، أو من الإقهاء بمعنى الإقعاد، من أقهى الرجل عن الشيء؛ أقعده وكرّهه فيه، وقيل لأنها تقهي شاربها عن الطعام، حيث تقلّ شهيته بعد أن يحتسيها، كما قال الأزهري: «القهوة: الخمر؛ سميت قهوة لأنها تقهي الإنسان؛ أي تشبعه».

وأول من تعرّف شراب القهوة هو الفقيه الصوفي أبوالحسن علي بن عمر الشاذلي، المتوفى سنة 1418م، حيث قام برحلة إلى الحبشة، ووجد الأحباش يصنعون من ثمار البن شراباً أسود، يحتسونه صباحاً ومساءً، وعندما سأل عنه، قيل له إن هذا الشراب يمنح الجسم نشاطاً وحيويةً، ومن هنا اتخذ الشاذلي مغليّ حبوب البن شراباً له، كما كان يصنعه الأحباش، حيث ارتاحت له نفسه، وأرشد أتباعه إليه، وأتى به من الحبشة إلى اليمن عن طريق صِلاته ورحلاته إلى إثيوبيا.

ثم تعرّف العالم جمال الدين بن عبدالله الذبحاني اليمني، المتوفى عام 1470م إلى القهوة، وتنقّل من اليمن إلى مكة نحو عام 1450م حاملاً معه ثمار البّن لاستعماله الشخصي. وقد ارتبط اسمه بتاريخ انتقال القهوة من عدن إلى مكة المكرمة، ثم قام العالم الصوفي أبوبكر بن عبدالله العيدروسي، المتوفى (1503)، بتجريب الأكل من شجرة البن، فأعجبته، فاتخذ من مغليّ تلك الثمار بعد تحميصها وسحقها شراباً له.

وهكذا انتشرت القهوة من اليمن إلى سائر بقاع الدنيا، وظهرت طقوس وتقاليد معينة في شربها، كما أوجدت لاحقاً ظاهرة المقاهي، بيوت القهوة التي اختلف الناس حولها، وتحلّق حولها المرتادون.

واقترنت القهوة، سمراء الشعراء، بطقس الإبداع، وحالات الإلهام، فثمة كتّاب كثر اعتادوا وتعودوا ارتياد المقاهي بانتظام، واختيار زوايا ثابتة لتسطير إبداعاتهم، والبوح بما يخالج نفوسهم وهم يسامرون القهوة، حيث يحلو السهر والسمر.



and leisure for residents and tourists alike. It features various facilities, notably the personal museums of (Badr Saleh, Mohammad Saleh Al Naqbi, Fatima Al Mughni, Abdullah Al Kabouri, Rashid Khalfan Abdullah Al Naqbi, and Khalfan Mohammad Ali Al-Naqbi), handicrafts houses of (Al Talli, Clothes Dyeing, Al Seffafa, Al Zafana, Al Da›oun, Al Burqa›a ...), the Heritage Majlis, the Damah Majlis, the Traditional Games House, the Travel Literature House, the Library, the Youth House, the Rayaheen Inn, the Traditional Poetry Centre, and the Poetry House. In addition, it includes a water channel and the Museum of Traditional Handicrafts in the old market (Souk Sharq) with its rich heritage craftsmanship that reflects the past.

In line with the Sharjah Institute for Heritage's vision regarding observation of the international heritage events, it marked the International Coffee Day, which falls on the first of October every years since it has been approved by UNESCO in 2015. We have devoted this issue to talking about coffee as a common human heritage that unites the world. We traced the beginning of its emergence, the path of its spread and its concentration around the world. In addition, we learned about the history of coffee and cafes, the literature of coffee in the Emirati heritage, etiquette of serving coffee, and the presence of coffee in Nabati poetry.

The regular sections in the magazine addressed a number of topics and heritage variants that mixed poetry and folk arts, and paid tribute to the poems of the poet Saeed Al Mutaiwee. They further reviewed the changes that took place in the old Sharjah markets, the art of AlRazfa, the "Moghar" astrology in Abu Musa, the manifestations of rain in the Arab heritage, Dar Al Qabila of the Arab Al Sabahh myths and the tributaries of building civilization, the antiques shops, and other important topics that highlight different aspects of our rich Arab heritage in values, ideals, elements and symbols. Thus, this issue is containing a rich material that will contribute to enriching heritage and cultural knowledge of the readers, and developing their cultural repertoire through valuable approaches written by a group of Emirati and Arab writers.

# Coffee...A Common Human Heritage

This new issue of «Marawed» magazine is adorned with the inauguration of the heritage area in Khorfakkan by His Highness Dr. Sheikh Sultan bin Mohammad Al Qasimi, Supreme Council Member and Ruler of Sharjah. This inauguration has crowned many years of preservation and restoration operations for the various facilities of the region. This heritage area will serve as an important facility, combining interest, entertainment, culture, heritage, tourism